تنبيـه هـام: إن هـذه الجـريـدة تتضمـن آيـات من القـرآن الكـريم فـالـواجـب عـدم امتهـانـهـا

قال سبحانه وتعالى: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ : «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا. المدير المسؤول: إبراهيم الطالب. رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 . العدد 05 . 29 شوال 1426 هـ الموافق لـ 02 دجنبر 2005 م . الثمن 5 دراهم

- العلمانيون بالمغرب يسبّون عثمان بن عفان رضي الله عنه

الصفحة: 20-21

- العلمانية والحداثة في مواجهة الله سبحانه "نزار قباني واستهزاؤه بالله سبحانه نموذجا"

الصفحة: 22-23

. ملف العدد .

تجديد الخطاب الديني

تقرؤون في هذا الملف:

- مفهوم الخطاب
- ضرورة تجديد الخطاب الديني
- الضوابط التي يجب أن نتقيد بها لتجديد الخطاب الديني
- ما الهدف وراء تجديد الخطاب الديني؟
- التجديد والاجتهاد بين المفهوم الشرعي والمفهوم البدعي
- من الذي يجب أن يغير ثقافته؟
- الحرب على الإرهاب بين إكرهات الأمريكيين والاستغلال البشع من طرف العلمانيين.

الصفحات: 12 إلى 17

نظرة العلمانيين إلى الله سبحانه والكون والإنسان

تلعب وحدة المرجعية أهمية بالغة في تحديد مدى الانسجام والاتحاد والتضامن بين مكونات المجتمع، فالوحدة هي العنصر الأساس لضمان الاستقرار والقوة والفاعلية في أي مشروع إصلاحي، بينما يبقى اختلاف المرجعيات وتناقض المنطلقات عاملا من عوامل الضعف التي تفت في عضد القائمين بالتغيير، وتوهن الخطط التي ترسم لمشاريع الإصلاح، وذلك نظرا لمراعاة مواقف المخالفين والمعارضين في بنائه مما ينعكس سلبا على النتائج، ولا يبقي لمجهودات التغيير أثرا يذكر، هذا إن لم تات ثمراتها عكس المؤمل.

ولعل موضوع تحديد المرجعية الفكرية أو الدينية للفاعلين في مجال الإصلاح الاجتماعي أو الديني أو الثقافي من شانه أن يسلط الضوء على طبيعة المطالب وحقيقة الأهداف، إذ كل إناء ينضح بما فيه.

لذا ارتأيت أن أستوقف القارئ الكريم في هذا المقال، للتأمل قليلا في منطلقات وأصول تيار ملأ الآذان بالصراخ، فلم يترك منبرا إلا اعتلاه، واعظا للناس يدلهم على طريق يصفها بالرشاد، وعلى سبيل ينعتها بالسداد، ويمنيهم إن أطاعوه يحرزوا عز الدنيا وسؤددها، أما الآخرة فلا شان له بها، وليست طريقه طريقها.

هذا التيار هو تيار العلمانية المشؤوم، الذي يروم تغيير مفاهيم ديننا، حتى يتسنى لنا - بزعمه - أن نتقدم ونزدهر، قال أحد خطبائه على منبر الشذوذ والدعارة، جريدة "الأحداث" التي تنشر فينا من الغرب كل قذارة، وذلك في العدد 1845 بتاريخ 13 فبراير 2004: "إن الدعوة إلى تبني العلمانية هي دعوة لتوفير شروط التقدم والتنمية وإزاحة العوائق الذاتية التي تحول بيننا وبين اللحاق بالركب الإنساني". فما هي يا ترى العوائق الذاتية التي يريد العلمانيون إزاحتها من خلال دعوتهم إلى التمسك بالعلمانية؟

. تتمة صفحة: 3

من عواقب البعد عن هدي السنة

هل يتزلف الأنبياء لأتباع ومُريدي ياسين؟!!

(الحلقة الثانية)

الصفحة: 4

مصابيح السبيل

- تعظيم السنة
- كمال دين الإسلام

الصفحة: 8 - 9

نداء إلى أهلنا بالصحراء المغربية

الصفحة: 11

رياض النساء

- نساؤنا والتعليم
- الحجاب تشريع رباني

الصفحة: 6 - 7

قراءة في كتاب

"الحوادث والبدع" لأبي بكر الطرطوشي -رحمه الله تعالى-

الصفحة: 10

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

"كلمة العدد"

أصبح لزاما علينا في الظروف التي أصبح يعيشها المسلمون، أن نعمل أكثر من أي وقت مضى على المحافظة على مقومات هويتنا، وذلك من خلال وسائل وآليات إنتاج وتمرير الخطاب، خصوصا بعد ظهور فئة من الناس تدعو بيننا إلى التشبث واحترام كل ما هو كوني وإنساني في مقابل التخلص والتملص من كل ما يتعارض معه سواء كان دينا أو عرفا، حتى نلحق بزعمهم بالركب الحضاري الغربي.

ففي زمن عولمة الأفكار وتغيير القناعات، لا يمكن المحافظة على الوجود إلا من خلال المحافظة على الأركان والعناصر المكونة للهوية والتي تتمحور حول العقيدة ثم التاريخ ثم اللغة؛ وذلك حتى نتمكن من الإبقاء على أنفسنا في هذا الصراع الذي تشهده الساحة الدولية.

لكن للأسف الشديد يلاحظ أننا لا نخرج من حرب تستهدف مرجعيتنا وهويتنا إلا لندخل حربا أخرى أشد شراسة وأكثر ضراوة، فإبان الاستعمار الأوربي للبلدان الإسلامية حاول منظروه أن يطمسوا معالم هويتنا بشتى الطرق، كان أبشعها تزوير التاريخ محاولة منهم لإغراق أبناء الأمة في الشبهات حول الإسلام ورجالاته، وبالمقابل قدموا لهم حضارة الغرب على أنها الأنموذج الذي يحقق الرخاء والإزدهار والرقي وذلك حتى تموت القدوة من نفوس النشء ويضمحل أي اعتزاز لديه بهويته، فنشأ خلف لسلف رووا بدمائهم أراضي كثيرة من أجل العقيدة واللغة والتاريخ، يستنكفون أن يكونوا عربا ومسلمين يدعون لنبذ كل ما من شأنه أن يحول دون التمكين للثقافة الغربية في بلاد المسلمين، والتي يلخصها مروجوها في عبارة الديمقراطية وحقوق الإنسان، هذه الثقافة التي يسمونها كونية ويدعمونها بالقوة والعنف من خلال العقوبات والحصارات الاقتصادية.

ومن الهموم التي تضحك، أن ترى مثقفي البلدان الإسلامية وخصوصا العلمانيين منهم، في الصف الأول مع من يَروج للاستغراب.

فباسم الحداثة يُروّج للزنا والسفور، وباسم "حرية الاعتقاد" يُروّج للتنصير والكفر والارتداد عن الدين، وباسم المساواة بين المرأة والرجل نعطل أحكام الإرث والقوامة، أليست هذا غيض من فيض ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان؟

ثم لماذا يحارب الترويج للمبادئ نفسها من منظور إسلامي، فالعدل والمساواة والأخوة وحفظ الحقوق كما دعا إليها رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، كلها مبادئ بنى الإسلام عليها سلوك أتباعه دون أن يعتبرها مجرد معاملة إنسانية مادية صرفة، بل جعلها قربة لله تعالى مما مكن لها في النفوس وجعلها لا تتغير بتغير المصالح والأهواء، ومن ثم سادت العالم ووفرت له الأمن والأمان لقرون طويلة من البناء الحضاري الشامخ، والذي دوّنه بعض المنصفين ممن انفتحوا على الهوية الإسلامية ولم يكن همهم استنزاف خيرات البلاد وإذلال العباد.

إن ما تعانيه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر إنما نتج عن فقدان "كل المعايير والمقاييس والمرجعيات والإجماعات، إنها فتنة الحداثة والتقدم والنهضة، إنها الانحطاط المعاصر والتفسخ والتفكك والفرقة، والفتنة فيها فساد والفساد فيه ظلم".

إن هذا التخلص من مقومات الهوية يغرق الأمة في التبعية للغرب، يحدث انفصاما في شخصية أبنائنا الذين انبهروا بالزخرف وانطلت عليهم الإلتباسات العلمانية التي ترحب بكل شيء شريطة أن يكون من الغرب.

لقد أصبحنا نعيش تبعية شاملة تمتد إلى كل الميادين سواء في ذلك الصناعية والعلمية والتكنولوجية والتجارية والثقافية والسياسية، وصرنا عالة على الغرب في المأكل والملبس والسلاح، وما كان ذلك ليكون لولا ما فرطنا في جنب الله سبحانه القائل: "ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون"

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

السبيل



لامرض في الأمة، ليس له علاج في الكتاب والسنة

المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والبصير في أصول وقواعد الشريعة، والعارف بأحوال المسلمين وواقعهم قديما وحديثا من جهة أخرى، يدرك أن ليس هناك مرض بالأمة حل جديدا ليس له في الكتاب والسنة علاج سديد.

كيف يمكن للكيس من الأنام أن يتصور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أحكام التخلي، وآداب الشراب والطعام، وترك لعقولنا المحدودة مثل هذه الأمور العظام.

فإذا كان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز في مثل هذه الأمور، فهل يجوز تأخيره في بيان أمراض الأمة؟!

قال العلامة يحيى السلماسي رحمه الله: "اعلم أن الله عز وجل أنزل كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تبيانا لكل شيء.... ثم أمره أن يبين لهم ما فيه مما يحتاجون إليه، وتجب معرفته عليهم فقال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)..... ثم إنه صلى الله عليه وسلم بين لأمته ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم، وبيّن لهم ما فيه صلاح أولاهم وأخراهم... وقال سلمان رضي الله عنه: "علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخِراءَة" فثبت أنه بين جميع الواجبات إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.." اهـ "منازل الأئمة الأربعة" للسلماسي رحمه الله 491.

ولما ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام داء الإختلاف بقوله: "...... فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا"، عقّب ذلك بذكر الدواء فقال: ".. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ" صحيح الجامع 2549.

بل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنا تكون في آخر الزمان بعد مئات السنين، وكان يضع حلولا لها... وكثيرا ما كان أصحابه رضوان الله عليهم- إذا ما سمعوا منه ذلك- قالوا: "فما تأمرنا..." كما في حديث حذيفة رضي الله عنه المشهور.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: "تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما" الصحيحة 1803. وما ذاك إلا لشمول الشرع وعمومه، وهذا من أظهر علامات كمال الدين.

قال البيضاوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم): "... بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد..." تفسير البيضاوي 292/1.

وإذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه، كثيرا ما يتوقف إذا ما سئل عن مسألة حتى يأتيه الوحي، كما في حديث يعلى بن أمية، أن رجلا جاء النبي عليه الصلاة والسلام مُتَضَمِّخًا بطيب، فقال: "يا رسول الله كيف ترى في رجل... فنظر إليه ساعة، فجاءه الوحي ثم..." متفق عليه.

ومن تأمل الكتاب والسنة النبوية، وجد فيهما كل شيء.. وجد فيهما التنبيه إلى الأمراض التي سبقت في الأمم قبلنا، والتي ستكون فينا إذا ما توافرت أسبابها: نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن من كان قبلكم..."، "إنما أهلك الذين من قبلكم..."، "إذا تبايعتم بالعينة...".

ويجد بالمقابل وصف علاجها ودواءها مثل قول نبي الله صلى الله عليه وسلم: "حتى ترجعوا إلى دينكم...."، "أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك"، "فاعتزل الفرق كلها".

قال العلامة ابن سريج رحمه الله: "ليس شيء إلا ولله عز وجل فيه حكم، لأنه تعالى يقول: (إن الله كان على كل شيء حسيبا)، (وكان الله على كل شيء مقيتا)، وليس في الدنيا شيء يخلوا من إطلاق أو حظر أو إيجاب، لأن جميع ما على الأرض من مطعم أو مشرب أو ملبس أو منكح، أو حكم بين متشاجرين أو غيره لا يخلو من حكم، ويستحيل في العقول غير ذلك، وهذا مما لا خلاف فيه أعلمه" اهـ انظر "البحر المحيط" للزركشي رحمه الله 129/1.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) التوبة 115

السحب مطابع امبريال

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

نظرة العلمانيين إلى الله سبحانه والكون والإنسان

بقلم: إبراهيم الطالب

تتمة الصفحة 1

ويستمر صراخ العلمانيين على لسان خطيب آخر، يعتلي المنبر نفسه الذي جُمعت ألواحه في أوربا وأمريكا قائلا: "فالمطلوب هنا هو إعادة التأسيس الكلي لمجمل ثوابت الثقافة الإسلامية بما فيها التصورات حول الله والروح والعالم الآخر والخلق والإنسان، أو كل ما يعتبر لحد الآن أنه من علم الغيب لا يحق للإنسان أن يسأل فيه." الأحداث العدد 1941 بتاريخ 19 ماي 2004.

ولتعريف القارئ الكريم بطبيعة التأسيس الكلي الجديد للتصورات حول الله سبحانه والخلق والإنسان والتي يدعونا خطباء هذا التيار إلى اعتناقها بدل التصورات الأصيلة التي ورثناها عن الصحابة والتابعين كما فهموها من رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ارتأينا أن نستعرض بالتحليل رؤية هذا التيار لله سبحانه، ونظرتهم إلى الكون والإنسان، بوصف هذه العناصر الثلاثة يشكل مفهومها والموقف منها الأساس الذي يمكن أن ينبني عليه أي مشروع "حضاري" أيًا كانت مرجعيته، وذلك حتى نستبين السر وراء تسربهم إلى الحقل الديني ومشاركتهم في تنظيمه في غفلة من العلماء والمسؤولين على هذا القطاع بالغ الأهمية.

أ- نظرة العلمانيين إلى الله سبحانه والكون والإنسان.

إن نظرة العلمانيين إلى الله سبحانه والكون والإنسان إنما هي اجترار لنظرة من ثاروا على دينهم في أوربا واتخذوا العلمانية دينا جديدا لهم. فالعلمانيون في المغرب كما هو حال إخوانهم في باقي العالم الإسلامي، لم يستطيعوا الإتيان بجديد وإنما ظلوا عالة على ملحدي وماديي أوربا، فكلما تحرك الغرب وأنتج نظرية ما إلا ورأيت ذيله عندنا تحرك دون وعي أو إدراك مومنا بحركات حسب ما يملي عليه رأس الجسد الذي يجمع بينهما ولعل أبرز مظاهر هذا الالتزام والالتصاق والتبعية العضوية تتجلى في تقليدهم الحرفي لرؤية علمانيي أوربا فيما يتعلق بالإيمان بالله سبحانه والكون والإنسان.

إلا أن العلمانيين ليسوا سواء، أي ليس لديهم موقف واحد اتجاه الله سبحانه، فمنهم من ينكر وجوده بالكلية، وهؤلاء ليسوا طرفا في موضوعنا، نظرا لكفرهم الصريح وخروجهم من دائرة الإسلام، لإنكارهم الله أصلا، وإيمانهم بأن الوجود إنما خلق صدفة، وأن الإنسان أصله قرد، فهؤلاء ينظرون إلى أنفسهم على أنهم حيوانات تعلمت النطق فلا مجال بالنسبة إليهم لاعتبار الوحي في حياتهم أو التعامل بمقتضاه، وليس هذا مجال السجال مع الحيوانات، وإنما سنقصر الكلام على من يعترف بوجود الله سبحانه منهم، وحتى هؤلاء الذين يعترفون بوجود الله سبحانه إنما يختلفون في هذه النقطة فقط مع الملحدين من أتباع "ماركس" و"لنين" و"داروين" والقائلين بشعار "لا إله والحياة مادة" في حين يتفقون مع أولئك في نظرتهم إلى الكون والإنسان، بشكل مناقض للإيمان بالله ربا ومشرعا وحاكما.

وننبه إلى أنه إذا ما لاحظ القارئ الكريم شيئا من التناقض، فإنما ذلك راجع للالتباس والتناقض الذي يلف نظرة العلمانيين إلى هذه الأمور الثلاثة، وليس افتراء عليهم.

ورغم ذلك كله فإن العلمانية بمفهومها الملتبس الغامض، وما تنبني عليه من نظريات وفلسفات مادية، تجمع بين الصنفين وتوحد مذهبهما وموقفهما من سيادة الإسلام، والمتمثل في إقصاء الشريعة الإسلامية وقطع علاقتهما بالمجتمع ومؤسساته الحيوية، والحيلولة دون اعتبارها مصدرا أساسيا للقوانين التي من المفروض واللازم شرعا أن لا تتناقض أو تتعارض مع حكم من أحكامهما ما دام دين الدولة هو الإسلام..

أما خلاصة رؤية العلمانيين لله سبحانه فتتمحور حول اعتباره سبحانه خلق الكون بما فيه من خيرات، وسخرها للإنسان وأمده بالعقل حتى يتمكن من تنظيم نفسه وبَني جنسه داخل مجتمع تضبطه القوانين فقط، وتسوده بعدلها، وتضمن حرية الإنسان المطلقة في التفكير والتصرف دون تقيُدِ بأي شيء سوى القوانين.

فبعد عملية الخلق ومنحه سبحانه للإنسان نعمة العقل، لم يبق لله - سبحانه وتعالى عما يقول العلمانيون - تصرّف ولا تدخل في الكون بل ترك للإنسان الحرية الكاملة المطلقة، فلا مجال إذن للحديث عن شريعة إلهية، أو قانون يراعي أحكام الشريعة، فما دام الله سبحانه قد فوض للإنسان تنظيم الكون وتدبير أموره فليس لأحد أن يدعي الدفاع عن أحكام الدين، أو أن يصنف الناس طبقا لتلك الأحكام هذا مع علمهم بأن الله سبحانه يقول: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ). كما أنه ليس من حق أي سلطة كيف ما كانت أن تمنع أي شخص يريد أن يبدل دينه ويصبح كفرا، يقول أحمد عصيد وهو أحد علماني المغرب المتطرفين «تربط العلمانية الإيمان بالاختيار الفردي الحر وتمنع على الدولة أي تدخل في حريات الأفراد وحقوقهم الدينية» الأحداث عدد 2283.

ب- العلمانيون والظواهر "الطبيعية" (آيات الله الكونية)

خلافا للآيات التي تتحدث عن العقوبات الإلهية للظالمين مثل قول الله تعالى: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (هود67) وقوله سبحانه: (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) الزخرف 55 وقوله سبحانه: (وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً) (الإسراء59)، يعتقد العلمانيون أن لا دخل لله، لا من حيث الافتعال ولا من حيث التصريف، في حدوث الظواهر الطبيعية من زلازل وبراكين وفياضانات ومطر وجفاف وكذلك الأمراض والفقر وكل ما تعلق بمحيط الإنسان وحياته ونفسه، كما يعتقدون أن ليس له سبحانه الخلق والأمر في ملكه رغم أن الله سبحانه وتعالى يقول: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف 54).

إلا أن العلمانيين رغم صراحة هذه الآيات الكريمة يأبون إلا امتثال النظرة الأوربية الملحدة للكون، ومن ثم يقومون بتفسير كل ما ذكرنا من ظواهر طبيعية وأمراض وغيرهما، بما وصل إليه العلم المادي الذي يقتصر على بحث الأسباب والكيفيات التي تنتج عنها هذه الظواهر والأمراض، وما دام العلم التجريبي لا يعترف بوجود الله ولا بالقيم الدينية، فإن العلمانيين ينفون كونها عقابا من الله مثلا أو تصريفا منه سبحانه لشؤون الكون الذي هو خالقه.

وهذا الاعتقاد المناقض لعقيدة المسلمين هو ما يجعل ثائرة العلمانيين تثور كلما قال مسلم مثلا: إن تسونامي أو كاترينا هو عقاب من الله للشواذ جنسيا والظالمين والمتكبرين؟ أو يقول إن القحط والجفاف سببه انتشار الزنا، رغم تواتر الأدلة الشرعية المقررة لعلاقة أفعال العباد بنشوء الظواهر الطبيعية، التي يقررها القرآن في غير موضع، مثل قوله تعالى: (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) (سبأ 16)، وغيرها كثير..

هذه العلاقة يتجنب العلمانيون مناقشتها في الرد على المسلمين ويكتفون بوصفها رجعية وتخلفا وكفرا بالعلم، وبما وصل إليه من تفسيرات للظواهر الطبيعية، متناسين ومتجاهلين عمدا وتعصبا، أن المسلمين لا يجهلون ذلك وإنما يعطون للعلم التجريبي المادي حجمه بوصفه يبحث في الأسباب والمسببات ولا يهتم بخالق هذه الأسباب الذي هو الله سبحانه، فالنار مثلا تحرق، فلماذا لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام رغم توافر عناصر عملية الإحتراق (إبراهيم عليه السلام، والنار، والأوكسجين و...و...)، الجواب سهل ويسير تماما مثل يُسْر وسهولة الدين كله ولا يحتاج إلى أبحاث ومختبرات ولا تفلسف وتقعر في الكلام، وإنما يحتاج إلى إيمان بربوبية الله إذ أن الله خالق النار هو من قال لها: (..يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء69) فأمرها ألاّ تحرقه عليه الصلاة والسلام، وذلك ليزداد المؤمنون بالله إيمانا بوجوده وربوبيته وإقرارا بهيمنته على الكون والإنسان، وليُخضع المتكبرين من أعداء الرسل إلى حقيقة يكابرون في نفيها، والتي مفادها أن الله هو خالق الأسباب والمدبر لشؤون الكون والآمر الناهي، المتصرف في ملكه وذلك مصداقا لقوله سبحانه: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (الرعد 41).

ج- نظرة العلمانيين إلى الإنسان

يرى العلمانيون أن الإنسان خلق حرا عاقلا، لا يحتاج إلى توجيه غيره، وعنده من العقل والقوة والرشد ما يمكنه أن يدبر شؤونه بالكيفية التي تحقق له السعادة والرقي، دون اللجوء إلى التقيد بوصايا أو أوامر يضطر معها إلى الحد من حريته، مما ينعكس على إبداعه، لذا فهو يرفض أي وصاية سواء كانت من رب أو سلطة معنوية أخلاقية، لأنه لا يؤمن إلا بالحرية بل الحرية المطلقة وإذا ما حدّ هو بنفسه من حريته فإنما يحد منها بإرادته عبر سَنّه لقوانين تنظم العلاقة بينه وبين إنسان آخر مثله.

ويرون أن كل تقييد لحريته بالوحي أو بالمثل والقيم إنما هو إهدار لحريته وتنغيص لمتعته وسعادته.

وأصل نظرتهم هذه يتمثل في اعتبار العلمانية الإنسان هو مركز الكون ومحوره، فكل شيء لا بد أن يسخر لخدمته، ويوظف لتحصيل متعته ورفاهيته تحقيقا للسعادة والفرح.

فهذا المنهج العلماني المادي في التعامل مع الله سبحانه والإنسان والكون هو الذي يجعل من المستحيل أن يقبل أي مسلم مهما كان متسامحا مع الآخر أي تدخل من أي علماني كيفما كانت علمانيته في أمور الدين الإسلامي، وذلك نظرا لكون العلمانيين مخلصين في العداء لمفهوم الإيمان بالله ربا ومشرعا ومهيمنا على الكون وكذا لمفهوم الكون باعتباره محل استخلاف للإنسان.

د- خلاصة

وانطلاقا من رؤية العلمانيين لله سبحانه والكون والإنسان، يمكننا تحديد طبيعة مطالبهم سواء في تجديد الخطاب الديني أو في تنظيم الحقل الديني أو في أي مشروع له صلة ولو من بعيد بأحكام الدين الإسلامي الحنيف، ولو حاولوا وكعادتهم، التلبيس على المسلمين بقولهم إن العلمانية لا تعارض الدين وحرية الاعتقاد، وذلك بغية تضليل الناس وكسب أصواتهم.

فإذا كانت هذه هي معتقدات العلمانيين فكيف يمكن أن تكون مساهماتهم ومطالبهم في تجديد الخطاب الديني؟

وفي الأخير أهمس إلى القائمين على الشأن الديني بهذه الكلمات:

إذا كانت فرنسا قد سمحت لنفسها باسم حماية علمانيتها وباسم احترامها لأسلافها الذين ضحوا بأنفسهم من أجل إقرار العلمانية وفصل الدين عن الدولة، فقامت بنزع حجاب المسلمات دون اعتبار للآخر وحرية تعبده وممارسته لدينه، فلا أقل أن يقوم المغرب باسم إسلامه وحماية معتقداته وثوابته الدينية بمنع العلمانيين من اقتحام المجال الديني ومصادرة كل أعمالهم التي يسوؤون فيها الشريعة الإسلام، ويغيّرون بها قناعات أبنائه حتى يتبنوا العلمانية دينا بدل الحنيفية السمحة.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

من عواقب البعد عن السنة

هل يتزلف الأنبياء لأتباع ومُريدي ياسين؟!!

بقلم: رشيد مومن الإدريسي

الحلقة الثانية

لقد بَعُدَ بنا الزمان عن الرعيل الأول، فظهر قوم بغاث أكثروا القيل والقال بلسان الجهل والضلال، وتكلموا وتشدقوا عن غير بصيرة، وخاضوا في خضم الأمور الخطيرة، متمسكين بمنامات و أحلام زاعمين أنها عين الحقيقة، وأنها على المنهاج الحق والطريقة!! والله يعلم أنها سبيل لأهل البدع قديمة.

فقد وقع الانحراف ـ قديما ـ لبعض المبتدعة من المتصوفة وغيرهم بسبب اعتمادهم على الرؤى واستدلالهم بها قال الإمام الشاطبي- رحمه الله- مبينا ذلك: "وأضعف هؤلاء احتجاجا، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانا الرجل الصالح فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيرا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: كذا وأمرني بكذا فيعمل بها ويترك بها، معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال، إلا أن تعرض على ما في الدنيا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها: عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا" "الاعتصام" 1/331-332.

أقول: إن الحق أبلج، و الباطل لجلج، وقد تكلم أناس قبلنا على وجه النصيحة، لكن القوم البغاث لم يستحوا، بل كابروا وعاندوا، فصار الواجب الصدع بالحق ـ ولو بالكلمات الشديدة - فإن السكوت ـ عند ذلك ـ خنوع وفضيحة.

فمن الأصول العلمية المقررة عند العلماء: "جواز الرد بعنف على من يماري بغير علم، إذا قصد الراد إيضاح الحق، وتحذير السامعين من مثل ذلك " اهـ كما في "الفتح" 1/366، وعنه" الفوائد المنتقاة..." للشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله .

هل الدين ناقص حتى يكمله ياسين؟!!

حكى الرائي جمال-ش، أنه رأى رؤيا عام 1417هـ فقال فيما يرى النائم أني في صحراء، تنتابني حيرة وكان الوقت ضحى، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ممتطيا فرسا أبيض، فنزل ثم أخذ بيد سيدي عبد السلام، ثم أركبه الفرس وقال له: "انطلق". ثم انطلق. ثم نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سألته عن هذا الذي حدث فقال لي: "هذا هو الذي يكمل الطريق من بعدي" لهم البشرى" موقع الطريقة الياسينية.

هل ياسين وأتباعه من أهل الجنة؟!!:

- قال الراوي: "حسن-م" (1422هـ): "رأيت فيما يرى النائم أن الله عز وجل قد بعث من في القبور، والخلائق لا حد لهم في زحام شديد، حتى أنه لا تظهر إلا الرؤوس كأنها نقط سوداء لكثرة الزحام، ورأيت أن جبريل عليه السلام يُري سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقول:" انظر إن الله قد بعث إخوان العدل والإحسان مع الصحابة رضوان الله عليهم" . موقع الطريقة الياسينية

ـ من أقوال العلماء في الحكم بالرؤى والمنامات:

- قال أبو زكرياء النووي - رحمه الله: "نقل الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع.." اهـ انظر " الآداب الشرعية" 3/447.

- قال الشاطبي ـ رحمه الله-:" وأما الرؤيا التي يخبر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الرائي بالحكم فلا بد من النظر فيها أيضا لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته فالحكم بما استقر. وإن أخبر بمخالف فمحال لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئا من ذلك فلا عمل عليه وعند ذلك نقول عن رؤياه غير صحيحة إذ لو رآه حقا لم يخبر بما يخالف الشرع" اهـ " الاعتصام" 3221.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله:"الرؤيا المحضة التي لا دليل على صحتها لايجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق" اهـ"الفتاوى" 27/457.

- قال ابن القيم -رحمه الله- :" ورؤيا الأنبياء وحي...وأما رؤيا غيرهم: فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إن كانت رؤيا صادقة، أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه، لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فينتبه بالرؤيا على ذلك" اهـ" المدارج" 1/ 62- 63.

- وقال ابن حزم -رحمه الله- :"الشرائع لا تؤخذ بالمنامات" اهـ" المحلى" 6/507.

وبذلك يتبين أنه لا يجوز الحكم بمقتضى الرؤى والمنامات على أمر من الأمور، إذ أنها ليست دليلا من أدلة الشرع، ولا مصدرا من مصادر المعرفة، بل لابد من عرضها على الشرع لتعرف كونها صادقة أم لا، و الحكم يكون بما استقر عليه الشرع.

ففي كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي - رحمه الله - أن شريكا بن عبد الله القاضي دخل على المهدي، فلما رآه قال: علي



بالسيف و النطع، قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي، فقصصت رؤياي على من عبَّرها . فقال لي: يُظهر لك طاعة ويضمر لك معصية، فقال له شريك: والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-، ولا أن معبرك بيوسف الصديق - عليه الصلاة و السلام-، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟! فاستحى المهدي، وقال: اخرج عني، ثم صرفه وأبعده. اهـ

- هل الرؤيا الصالحة وحي من الله؟:

إطلاق ياسين(كما مرّ معنا في الحلقة الأولى) بأن: "الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، هي وحي من الله للعبد الصالح" اهـ عقيدة خطيرة، وزلة شنيعة، لأن الرؤيا الصالحة إذا كانت كذلك فلم لا يعتمد عليها في تقرير الأحكام؟!!

نقول: إن الرؤى التي هي وحي هي رؤى الأنبياء فحسب، أما رؤى غيرهم فليست كذلك لما يدخلها من الخلل، ولأن الشيطان قد يحضرها ولذلك لا ينبني عليها حكم شرعي. انظر "الفتح"(12/354، و2/82).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: " ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا، كما قال ذلك ابن عباس وعبيدة بن عمير، وقرأ قوله: (إني أرى في المنام أني أذبحك) وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيا، فكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحيا، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلي الذي يناجي ربه، فإذا أجاز أن يوحى إليه في حال النوم فلماذا لا يوحى إليه في حال اليقظة، كما أوحى إلى أم موسى، والحواريين، وإلى النحل؟! لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك فإن الوسواس غالب على الناس "الفتاوى" 17/532.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله - : " إن الوحي منقطع بموته ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اهـ إرشاد الساري.

وفي الأخير نقول: إذا كان ياسين لا يقر الانحراف في باب الرؤى والمنامات، فلماذا لا ينكر الكثير من الطوام التي تشتمل عليها الرؤى التي يعرضها أتباعه بين يديه مع تضمنها لانحرافات عقدية خطيرة؟ ومن أمثلة ذلك رؤيا رواها أحد مريدي ياسين عن مريد آخر كان معه في الرباط الأربعيني البدعي نصها كالتالي:" أحد الإخوة رأى أن الإخوان واقفين بجانب نهر جاري، وواقفين بالضفتين ديالو الأنبياء، والأنبياء كيستعدوا باش يغسلو الرجلين ديال الإخوان يتزلفون لهم كي يدخلوهم في دعاء الرابطة" فقال ياسين - معلقا : وا شوفو هاذ الشي ـ وسكت قليلا- لأنو الإنسان إلى مات.. انقطع عمله إلا من ثلاثة منها ولد صالح يدعو له وانتما أولادهم فلما ادعيو معاهم كينتافعو به." الشريط 20-08-2005 لقاء مع بعض مريدي ياسين من الجالية المغربية في الخارج.

قلت: أليس هذا من صميم عقيدتهم الصوفية المنحرفة التي ترى أن الولي أعلى مقاما من النبي؟!

قال شاعرهم:

مقام النبوة في برزخ

فويق الرسول ودون الولي!!

ولعل هذا هو الدافع لياسين الصوفي إلى عدم الإنكار أو على الأقل توجيه مريديه!

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

(الحلقة الثانية)

- القاعدة الثانية : ضبط معاني اصطلاحات العلماء

مقدمة

لمراعاة ضبط معاني اصطلاحات العلماء أهمية كبرى حيث شغل هذا الأمر علماء كُثر، فألف فيه الخوارزمي رحمه الله كتابه "مفتاح العلوم"، والجرجاني رحمه الله كتابه "التعريفات"، وأبو البقاء رحمه الله كتابه "الكليات"، والتهاوني كتاب "كشاف اصطلاحات الفنون"، في آخرين. فمشكلة(المصطلحات)-التي نشأت عن الاجتهادات الفقهية وجرت على لسان العلماء والفقهاء (خاصة) على اختلاف مذاهبهم وفنونهم- هي أنها ترتهن لإرادة من يستخدمها، وفي أي مجال. ومما يدل على ذلك ويؤكده أن العرب كان من عرفها "تسمية الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد" "الموافقات" 66/2 بتصرف يسير.

وجاء في كتاب سيبويه: "اعلم أن من كلامهم (أي العرب) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين،واختلاف اللفظين والمعنى واحد،واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين..." "الكتاب"24/1. فتعين بذلك ضرورة النظر إلى اللفظة في سياق تحولاتها الدلالية، وهذا يقتضي تتبعها ورصد معانيها عند مستعمليها، لأن غلبة الاستعمال في بعض المعاني تعفي ما كان يفهم من اللفظ قبلها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وما من أهل فن إلا وهم معترفون بأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم كما لأهل الصناعات..ألفاظ يعبرون بها عن صناعتهم، وهذه الألفاظ هي عرفية عرفا خاصا ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة "اهـ" در، تعارض العقل والنقل"222/1 فما بعدها.

- الأسباب التي دعت العلماء إلى وضع المصطلحات:

السبب الأول: وجود ماهية عامة لها معنى واف، فلا يمكن أن يوجد لها مصطلح واحد يغطي كافة معانيها فيضطر لوضع عدة مصطلحات كل مصطلح يغطي وجها من الوجوه.

السبب الثاني: اختلاف مفاهيم المجتهدين في تحديد وظيفة الماهية، فيضطرهم هذا لأن يضعوا مصطلحات عدة، فيضع كل مجتهد مصطلحا للماهية حسب تصوره لوظيفتها.

السبب الثالث: تصور المجتهد أن المسألة فيها حكمان، فيحتاج لوضع جديد يبرهن فيه على مذهبه ليفرق بين الحكم السابق



والحكم الطارئ.

السبب الرابع: التطور الاجتماعي أو اختلاف الأجيال بتباعد الأزمان.

انظر "المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم" لعلي جمعة 30-31-32-الحاشية.

- ضبط معاني اصطلاحات العلماء:

الألفاظ والمصطلحات قد توجد في فن معين، وقد تستعمل هي نفسها في بعض العلوم الأخرى، فلا ينبغي أن يستشكل ذلك -لما مر معنا ذكره- ولا تظن - كما أشرنا إليه سلفا- أن معناها في هذا العلم هو نفس معناها في العلوم الأخرى، بل لكل علم اصطلاحه، أي: معناه الخاص به، بحيث يؤدي هذا اللفظ في كل علم يستعمل فيه معنى يختص به.

وقد يختلف المصطلح الواحد في العلم الواحد باختلاف القائلين، وقد تختلف دلالة المصطلح في العلم الواحد باختلاف الزمان أو المكان، بل العالم الواحد قد يستخدم هو نفسه المصطلح الواحد لأكثر من معنى، فيعني به في موضع معنى ما، وفي موضع آخر معنى آخر.

وليس من شك أنه يجب على من يريد ضبط معاني اصطلاحات العلماء، أن يربط بين دلالة المصطلح وبين قائله- إذا كان يعني به معنى خاصا.- والزمان الذي استعمل فيه إذا كان قد تغيرت دلالته من زمان إلى زمان، والمكان أيضا، إذا كانت دلالته قد تغيرت من مكان إلى مكان.

وإذ نحن قد أغفلنا هذا الاختلاف، وقعنا بالضرورة في أخطاء، تكبر أو تصغر بحسب ما للمصطلح ذاته من أهمية منهجية.

هذا وإنما يُعرف تفسير المصطلح من أهله العارفين به، لا من غيرهم.

والسبيل إلى إدراك ذلك بأمرين:

أولهما: أن يأتي نص عن إمام متخصص يفصح به عن معنى هذا اللفظ عنده أو عند غيره .

ثانيهما: الاستقراء، والتتبع للمواضع التي ورد فيها هذا اللفظ، فيعرف معناه من خلال السياق، أو من خلال مقارنة هذه المواضع بعضها ببعض.

قال الناظم:

اعلم بأن اللفظ قد يستعمل — في غير ما علم،فلا يستشكل
فكل علم وله اصطلاحه — معناه عند أهله، وشرحه
يدرى بالاستقراء، أو بنص — صاحبه أو عالم مختص
وربما تعددت معاني — الاصطلاح عند أهل الشان

انظر "لغة المحدث" (الأصل) 40 فما بعدها لأبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

مفهوم المصلحة

من أنواع التقدم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، الموازنة بين المصلحة والشرع، فقد استخدم كثير من الناس مصطلح "المصلحة" كدليل احتجاج وتأصيل، دون ضبطه بالضوابط الشرعية، حتى قال القائل: "أينما تكون المصلحة فثم شرع الله" وهذه قولة شنيعة وزلة مريرة لأن حقيقتها تقديم المصلحة على الشرع.

والله تعالى يقول: (وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الأحزاب 36.

فالحق أن يقال: "أينما يكون الشرع فثم المصلحة" لأن "الشريعة ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم". "الموافقات" للشاطبي رحمه الله (92)، فهي "عدل كلها ومصالح كلها وحكمة كلها". "إعلام الموقعين"13/3 لابن القيم رحمه الله.

- قال الناظم :

الشرع وضع الله للعباد — للنفع في المعاش والمعاد

قال الغزالي رحمه الله في تعريفه للمصلحة: "هي جلب المنفعة ودفع المضرة" اهـ "المستصفى" 139/2.

قال الناظم:

الدين مبني على المصالح — في جلبها والدفع للقبائح

فالمصلحة الشرعية -إذن- هي ما تضمنته أحكام الشريعة من جلب للمنافع ودفع للمضار في العاجل والآجل، وهذا النوع من المصالح قد جاء النص مقررا لها بعينها أو نوعها، كالأمر بجميع أنواع المعروف والنهي عن جميع أنواع المنكر وكتعليم القراءة والكتابة وغير ذلك مما تضمنته النصوص الشرعية من مصالح ومنافع.

فالمصلحة هنا أصل ثابت ودليل قائم تبنى عليه الأحكام وهذا النوع هو المسمى عند العلماء بالمصلحة المعتبرة شرعا. انظر"الاستصحاب والمصلحة المرسلة" للزرقا رحمه الله 39.

تبين -إذن- أن المصالح الشرعية هي التي ترتبط بنصوص الوحي، منها تؤخذ وإليها ترجع، أما المصالح غير الشرعية فهي على العكس، بالنسبة لعلاقتها بنصوص الوحي ومقاصد الشريعة الإسلامية، فهي تنفك عن هذه الأصول جميعا، ومن ثم فهي مصالح ملغاة، لا يعتبرها الشارع مصالح، بل هي مصالح متوهمة وليست حقيقية، وإن ظهرت للناظر أنها كذلك، إلا إن العبرة في النفع والضرر أو المصالح والمفاسد بتقدير الشارع، وليس بتقدير العقول المطلقة من نصوص الوحي ومقاصد الشريعة ولا بتجارب الناس وعوائدهم، إلا إن هذه تسمى في الشرع "هوى" يؤدي إلى وقوع التنازع والتقاتل والصراع.

ومن أمثلة ذلك القول بأن البنت تساو ي الابن في الميراث بدعوى أن المصلحة تقضي بذلك لتساويهما في درجة القرابة، ولأن البنت أصبحت تساوي زوجها في أعباء الحياة فساوت الابن من هذه الجهة، وهذه مصلحة شهد الشرع ببطلانها وذلك لوجود النص على أن: (للذكر مثل حظ الأنثيين).

والقول بقبول مثل هذه المصالح- المتوهمة- نداء إلى هدم قواعد الشريعة وتحريف حدودها وقيودها. انظر:" المصلحة العامة من منظور إسلامي" للدكتور فوزي حكيم 90-96.

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال:"جاءنا ذات يوم رجل من عمومتي فقال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعا، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا...." اهـ رواه مسلم.

فهذا الصحابي رضي الله عنه ترك المصلحة الشخصية من أجل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنها، فغلب جانب الشريعة على جانب المصلحة الشخصية، وهكذا كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جميعا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله :" والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا قد حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم وتركنا على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له، إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر أو أنه ليس بمصلحة، وإن اعتقده مصلحة، لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة، وكثيرا ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة، كما قال تعالى في الخمر والميسر: (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما)" اهـ " الفتاوي"344/11.

ومن المصالح المقررة عند العلماء "المصلحة المرسلة" وهي في تعريف علماء الأصول كما في "أصول الفقه الإسلامي" للزحيلي 7572 "التي لم يشهد لها دليل معين من الشرع بالاعتبار أو الإلغاء، ويحصل من ربط الحكم بها جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الناس، مع ملاءمتها لتصرفات الشارع ومقاصده (وهذا القيد الأخير مهم، وحقيقته أن لها في الشرع نظير من جنسها، وأما إذا لم تكن كذلك، - وإن لم يعتبرها الشرع ولم يلغها- فهي "مصلحة غريبة" مردودة بالاتفاق)، انظر "نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي" 17 "للدكتور حسين حامد حسان".

هذا النوع من المصالح معتبر في حقيقته ضمن مقاصد الشريعة، وجمهور العلماء قد اعتبروا حجية المصلحة المرسلة، وإن أنكرها بعضهم، كما هو منسوب للشافعية والحنفية، إلا أن كتبهم واجتهاداتهم قائمة في كثير منها على اعتبارها، كما نص عليه الإمام القرافي رحمه الله في "تنقيح الفصول"446 مع التنبيه على أمر لا بد من ذكره هنا، إذ قد أغفله كثير من القائلين بالمصالح المرسلة - خاصة- ولو التزم لما حصلت تلك الفوضى التي نعيشها الآن.

وهو: أن تحديد المصلحة في أمر ما صعب جدا، فقد يظن الناظر أن هذه مصلحة وليس الأمر كذلك.

ولذا فإن الذي يتولى تقدير المصلحة المرسلة، أهل الاجتهاد الذين توفرت فيهم العدالة والبصيرة النافذة بأحكام الشريعة ومصالح الدنيا.

ولذلك نجد شيخ الإسلام رحمه الله يقول في المصلحة هي : " أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة"اهـ الفتاوي342/11، وانظر" الموافقات" للشاطبي رحمه الله 177/5، وفي هذا المعنى يقول الشيخ عمر الفاسي رحمه الله في رسالة "الوقف": "وأنى للمقلد أن يدعي غلبة الظن أن هذه المصلحة فيها تحصيل مقصود الشارع وأنها لم يرد في الشرع ما يعارضها، ولا ما يشهد بإلغائها، مع أنه لا بحث له في الأدلة، ولا نظر له فيها!! وهل هذا إلا إجتراء على الدين وإقدام على حكم شرعي بغير يقين" اهـ نقله عنه الشيخ محمد الخضر حسين في "رسائل الإصلاح" 1542.

ومع ذلك نرى في زماننا هذا، معظم العلمانيين والعقلانيين، والمبتدعين، من المفلسين من العلوم الشرعية يقدمون مصالحهم الشخصية على دين رب العالمين، ويخوضون في شرع الله بالظن والتخمين!! فنعوذ بالله من كيد الكائدين، وتحريف المحرفين الحرّفين.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

رياض النساء

نساؤنا والتعليم

بقلم: حماد القبّاج

اعلمي رحمكِ الله أن من الأمور التي كانت من اهتمامات الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، محاربة الأمية ونشر العلم في الوسط النسوي؛ كما يدل على ذلك ما رواه أبو داود بسند صحيح عن الشفاء رضي الله عنها قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة».

ولما طلبت النساء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصِّص لهن يوما يعلمهن فيه، استجاب لهن، ولبّى رغبتهن، كما يبينه الحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:"قالت النساء:"يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك". فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن". (رواه البخاري).

وكان عليه الصلاة والسلام يزيل كل ما يمكن أن يكون عائقا للمرأة عن العلم -كالحياء مثلا- كما في سنن الدارمي عن أنس رضي الله عنه قال: دخلت أم سليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فقالت:"المرأة ترى في منامها ما يراه الرجل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم؛ فضحت النساء؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أنت تربت يداك إن خيركن التي تسأل عما يعنيها».

فالتعلم من حقوق المرأة، ويدخل في ذلك العلم الشرعي وغيره من العلوم الدنيوية النافعة.

جاء في كتاب (منزلة المرأة في الإسلام):" ومن حق البنت: حقها في التعليم إذ يجوز لها أن تتعلم ما شاءت من العلوم والمعارف، ما لم تكن محرمة كعلم السحر، بل هناك من العلم ما يجب على المرأة تعلمه وهو علم أصول الإيمان السنة واللازم من شرائع الإسلام: كالوضوء والصلاة والصيام... واللازم من أحكام المعاشرة والمعاملة، وكذا علم المحرمات الخمسة المذكورة في قول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الأعراف33.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». (صحيح، رواه ابن ماجه).

كما ينبغي لها أن تكتسب المعارف التي تبصرها بواقعها، وشؤون حياتها، سيما في هذا الوقت الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام، وتغلغلت في واقع الحياة بما تبثه من خير وشر".

قال العلامة محمد رشيد رضا:"وقد بلغ من عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن أن ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة، رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها، والحديث مخرج في الصحيحين، فقرن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيرا، وحديث:"طلب العلم فريضة على كل مسلم"؛ يشمل المسلمات باتفاق علماء الإسلام

وسيأتي في الكلام على أمهات المؤمنين أن الغرض في تعددهن أن يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون إليهن فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الشرعية ولا سيما السيدة عائشة رضي الله عنها".

فقد كانت أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من كثير من الرجال، قال الزهري:"لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل".

بل قال أبو الضحى عن مسروق:"رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض".

وقال عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس وأعلم الناس رأيا في العامة".

وقال هشام بن عروة عن أبيه: "ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة".

وقال أبو الزناد: "ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة بن الزبير، فقيل له: ما أرواك. فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت شعرا".

وهكذا أم سلمة رضي الله عنها وغيرها من أمهات المؤمنين مثل حفصة بنت عمر وزينب بنت معاوية وصفية بنت شيبة وأختها أم كلثوم وأسماء بنت عبدالرحمن...

وإذا انتقلنا إلى عهد التابعين وجدنا من العالمات ما تقر به أعين المسلمين؛ وترغم به أنوف الحاقدين المفترين؛ وارجع أخي القارئ، وارجعي أختي القارئة إلى ترجمة عمرة بنت عبد الرحمن وحفصة بنت سيرين وعائشة بنت سعد بن أبي وقاص وأم الدرداء الصغرى ومعاذة بنت عبدالله العدوية وغيرهن من الفاضلات.

قال القاسم بن محمد للزهري: "يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟

قلت: بلى.

قال: عليك بعمرة فإنها كانت في حجر عائشة؛

قال: فأتيتها فوجدتها بحرا لا ينزف".

وقال إياس بن معاوية عن حفصة: "ما أدركت أحدا أفضّله عليها، فذكروا له الحسن وابن سيرين. فقال: أما أنا فما أفضل عليها أحدا".

ولا نزال نقلب صفحات التاريخ ونرى من هذا الخير الشيء الكثير.

وهاهي ذي:عائشة بنت أحمد القرطبية من عالمات القرن الرابع الهجري يقول عنها الحافظ ابن حبان: "لم يكن في زمنها من حرائر الأندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة".

ومن عالمات هذا القرن أيضا: أمة السلام أم الفتح البغدادية التي قال عنها ابن كثير: "وأثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها".

وهكذا نقرأ في وفيات الأعيان لابن خلكان ترجمة فخر النساء شهدة ابنة أبي نصر من عالمات القرن السادس الهجري، قال فيها: "كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد، وسمع منها خلق كثير واشتهر ذكرها وبعد صيتها"... والأمثلة كثيرة وكثيرة جدا.

ثم خلف من بعدهن خلف أضعن العلم واتبعن الجهل، وقد كان هذا من الجو العام المظلم الذي خيم على الأمة بعد تلك القرون الزاهرة، وذلك بسبب بعد الأمة شيئا فشيئا عن علم الوحي، واستبداله بالتقليد والبدع وخرافات الصوفية وضلالات الفلاسفة، فهذه الشرور جرّت على الناس مصائب الجهل والتخلف والانحطاط، وكانت النساء أكثر الجنسين تضررا بذلك.

ومن هنا جاء اهتمام العلماء المصلحين بتعليم النساء وإخراجهن من الجهل الذي يغرقن فيه، ودعوتهن للعودة إلى رياض العلم والمعرفة، وإقناعهن بأن هذا شرط أساسي للمرأة التي تنشد الحياة الكريمة والعاقبة الحميدة، وتريد أن يكون لها دور في إصلاح مجتمعها وتنميته.

قال الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله: "إن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء وإن على أوليائهن المسؤولين عنهن إثم كبير لما هن فيه".

وقال: "فاستنادا إلى هذه الأدلة وسيرا على ما استفاض في تاريخ الأمة من العالمات والكاتبات الكثيرات؛ علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا وفي رجالنا ونسائنا على أساس ديننا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء، وثمار جهادنا في أحقاب التاريخ المتطاولة. وبذلك نستحق أن نتبوأ منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم". (من هدي النبوة).

وقد لقي هذا النداء وأمثاله استجابة في صفوف أبناء وبنات الصحوة الإسلامية المعاصرة وتمثل ذلك فيما نراه في صفوف المسلمات من الإقبال على العلم والتعلم في مجالات: محاربة الأمية وتعلم القراءة والكتابة، وفي مجال طلب العلم الشرعي، وكذا في مجال تعلم العلوم والمعارف الأخرى النافعة من طب ورياضيات وفيزياء وغير ذلك.

ولا بد أن نذكر هنا بأن هذا الأمر ينبغي أن يكون مع مراعاة الحدود الشرعية، وعدم تعديها كما هو حال التعليم النظامي في كثير من الدول الإسلامية، وعلى المسؤولين فيها واجب القيام بتطهير أماكن العلم والدراسة من المخالفات الشرعية التي خلفها الاستعمار: كالاختلاط وتهميش الشعائر وبث السلوك والفكر الإباحيين بين المتعلمين والمتعلمات... فالتعليم ينبغي أن يكون "على أساس ديننا وأخلاقنا وآدابنا".

ولا خير فينا إذا أعطينا المرأة علما، وحرمناها تربية صالحة واستقامة على آداب الدين وفضائله.

ونعد بلا شك من الخونة لأمتنا، المعتدين على نسائنا؛ إذا علمناهن حسابات رياضية، أو معادلات فيزيائية، أو معلومات تاريخية أو جغرافية.. وتركناهن جاهلات بأحكام وآداب دينهن، الذي هو سبب فلاحهن، وضامن عزتهن، وهو الإطار الصحيح لعملهن المطلوب منهن لترقية النوع البشري، وتنمية المجتمعات.

فمتى يدرك مسؤولونا هذه الحقيقة؟

من أقوال الغربيين في الحجاب والمرأة

قال "مارسيل بوازار" :

- (. . . أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم أنها حامية حمى حقوق المرأة)

- (إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة شبه متساوية، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماما شديدا بضمانها، فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوما أشد خلقية عن الزواج، وسعيا أخيرا إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عددا من الطموحات القانونية، أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والإرث) إنسانية الإسلام ص: 109-110.

وقال "ايتين دينيه":

- (جاء في كتاب (الإسلام) تأليف "شمتز دوملان" أنه (عندما غادر الدكتور "مافروكورداتو "بالآستانة القسطنطينية سنة 1827 إلى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة، كما لم يعرف فيها داء-الزهري- وهو "السفلس "المعروف بالشرق بالمرض "الإفرنكي" فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين تبدل الحال غير الحال. وفي ذلك يقول الصدر الأعظم رشيد باشا في حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوروبا ليتعلموا المدنية "الإفرنكية" فيعودون إلينا مرضى بالداء الافرنكى) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص: 33.

- وقال: (إن تعاليم المرأة تساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين، وقد كان في عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضا على المسلمات، وكانت ثقافتهن حينذاك أرفع من ثقافة الأوربيات دون جدال) المصدر نفسه 341.

الحجاب تشريع رباني

رياض النساء

بقلم: حماد القباج

-الحلقة الأولى-

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم» (الأحزاب)

كانت لي في العدد السابق وقفة مع بعض منكري فَرْضيَّة الحجاب، وظهر من خلالها للقراء الكرام أنهم أناس ضاقت قلوبهم ذرعا بشرع ربهم، مما جعلهم يتجرّؤون على محاربة أحكامه، والسعي لتغييبها من المجتمع، وقد أطلقوا العنان لأقلامهم في هذا المجال الذي لا تربطهم به رابطة، ولا يمُتون له بأدنى صلة، ولذلك فهم يهرفون بما لا يعرفون، ويتعالمون فيما يجهلون، لا يردعهم خوف من الله، ولا يزجرهم تذكير بوعيده، وقد خلا لهم المجال في جوٍّ من الفوضى العلمية التي ألبست لبوس: حرية التعبير، وسوّغوها باسم حرية الصحافة!

وقد وعدت في ختام المقال المذكور بكتابة مقالات في بيان مشروعية الحجاب، وأنه مفروض بالنصوص من القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهذا أوان الشروع في ذلك، فأقول وبالله التوفيق:



قال الله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور 31].

اشتملت هذه الآية الكريمة على مجموعة من الأحكام- التي تشكل المفهوم العام للحجاب- وهي:

1 - وجوب غض البصر على النساء:

وهن في هذا كالرجال، قال الله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور 30].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: "سألت رسول الله عن نظرة الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري" مسلم (2199)

2 - وجوب حفظ الفرج:

أي: عما لا يحل لهن، كما قال قتادة وسفيان. انظر تفسير ابن كثير (287/3).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم». رواه أحمد (323/5).

3 - وجوب ستر المرأة لزينتها إلا ما استثني:

وفي معنى الزينة يقول الشوكاني -: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أي: "ما يتزين به من الحلية وغيرها، وفي النهي عن إبداء الزينة نهي عن إبداء مواضعها من أبدانهن بالأولى". فتح القدير (33/4)

أي: إذا نهيت المرأة عن إبداء الخاتم والفتخة، فهي منهية عن إبداء موضعها من باب أولى وهي: الأصابع، وإذا نهيت عن إبداء القلادة والدملج، فهي منهية عن إبداء موضعها وهما العنق والمعصم.

وإذا نهيت عن إبداء الكحل والخضاب فهي منهية عن إبداء محلهما من البدن وهما الوجه والكفان. والخضاب يكون أيضا في الوجه بالوسيمة في الحاجبين والشاربين، والغمرة في الخدين انظر: الكشاف (290/4).

وإذا نهيت عن إبداء الخلاخل، فهي منهية عن إبداء موضعها وهو الساق.

فإن قلت: ما المراد بموقع الزينة؟ ذلك العضو كله، أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه؟

قلت:" الصحيح، أنه العضو كله" الكشاف (4/290)

فالنهي عن إبداء الأصابع نهي عن إبداء الكف، والنهي عن إبداء الجزء من العنق الذي تكون عليه القلادة، نهي عن إبداء العنق كله، وهكذا.

وقد بيّنت السنّة المقصود بالمستثنى في قوله تعالي: (إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا). عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يرى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل». رواه أبو داود في المراسيل (437) بسند صحيح عن قتادة، وله شاهد عن أسماء بنت عميس عند البيهقي (13497) بسند ضعيف، وصححه الألباني في الرد المفحم (ص 79) و سنن أبي داود (4104).

ويقويه جري عمل الصحابيات على ذلك في زمن النبي. الكشاف (290/4).

وبهذا فسر ترجمان القرآن -رضي الله عنه- قوله تعالى: "إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا".

عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال:" الكف ورقعة الوجه".

وعن نافع قال: قال ابن عمر رضي الله عنهما:"الزينة الظاهرة: الوجه والكفان".

وإلى تفسير المستثنى بالوجه والكفين جنح شيخ المفسرين ابن جرير الطبري -رحمه الله- فقال في تفسيره: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان". جامع البيان (159/10)

قال العلامة ابن رشد رحمه الله: "وهو قول أكثر العلماء". بداية المجتهد (215/1).

قلت: وهو مذهب الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي، ورواية عن أحمد، رجحها ابن قدامة في «المغني» (637/1)، والمرداوي في «الإنصاف» (1/452).

فلا يحل للمرأة أن يبدو من بدنها سوى الوجه والكفين لقولِ الله تعالي: "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا".

ولكن يستحب للمرأة أن تغطي وجهها كذلك لأنه أكمل في الستر، وقد كان هذا هدي كثير من النساء، وعلى رأسهن أمهات المؤمنين، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما يشير إلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين» البخاري (1838) ومفهومه أن غير المحرمة تنتقب؛ وتلبس القفازين. والله أعلم.

وللحديث بقية . . .

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

من مصابيح السبيل

من آثار السلف الصالح في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع

- روى ابن وضاح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قام بالشام فقال: "أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع ألا وإن رفعه ذهاب أهليه، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بأمركم العتيق" اهـ " البدع والتبدع" للإمام محمد بن وضاح 25 والأجري في الشريعة 52.

- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك حتى أصابتها ريح شديدة، فتحات ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم"، "الإبانة الكبرى" لابن بطة 359/1.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالعلم قبل أن يقبض وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق وعليكم بالعتيق" رواه الدارمي66/1.

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:"ما ابتدعت بدعة إلا زادت مضيا ولا نزعت سنة إلا ازدادت هربا" "الإبانة الكبرى" لابن بطة 351/1.

- وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أوصني قال: "عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبدع" "الإبانة الكبرى" لابن بطة 319/1.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:" خير الدين دين محمد صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، اتبعوا ولا تبتدعوا، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتم الأثر، إن تتبعونا فقد سبقناكم سبقا بعيدا، وإن تخالفونا فقد ضللتم ضلالا بعيدا، وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله عنهم سنة هدى، ثم لا تعود فيهم أبدا، ولأن أرى في ناحية المجسد نارا تشتعل فيها احتراقا، أحب إلي من أن أرى بدعة ليس فيه لها مغير" أخرجه محمد بن نصر في كتاب "السنة" 24.

- عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال:"البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها" أخرج اللالكائي 132/1.

تعظيم السنة

■ رشيد مومن الإدريسي

تنبيه: مما يجب التنبيه عليه ما قد يقع من بعض المنتسبين للعلم من تنزيل لفظ السنة الوارد في بعض الأحاديث والآثار على المعنى الاصطلاحي عند الفقهاء، فيحصل الخطأ الفاحش، ويخرج بالأحكام عن مراد الشرع.

فقد" تقرر أن لفظ السنة إذا ورد في الحديث لا يراد به التي تقابل الواجب....." الفتح للحافظ 341/10.

قال ابن علان رحمه الله في "دليل الفالحين" على حديث:" فعليكم بسنتي":" أي طريقتي، وسيرتي القويمة التي أنا عليها، مما فصلته لكم من الأحكام الإعتقادية، والعملية الواجبة والمندوبة، وغيرها.

وتخصيص الفقهاء لها: بالمطلوب طلبا غير جازم: اصطلاح طارئ، قصدوا به التمييز بينها، وبين الفرض"اهـ بتصرف 415/1.

ولذا قال علماء السلف:" السنة: العمل بالكتاب والسنة والاقتداء بصالح السلف واتباع الأثر"اهـ " الحجة في بيان المحجة" 4282.

دلت نصوص القرءان، وحديث النبي العدنان عليه الصلاة والسلام على تعظيم السنة، بل نجد في مواقف السلف من الصحابة والتابعين من القوة والحزم على كل من عارض السنة، أو بدر منه شيء من ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائنا من كان، ويهجرون فاعل ذلك، وينكرون على من يضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له، والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله..."اهـ " إعلام الموقعين" 244/4.

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات 2.

قال ابن القيم رحمه الله معلقا:" فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردّة بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر، فما الظن بمن قدم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟!.

أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟!! "اهـ " الوابل الصيب" 24.

وفي الحديث عند مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:" أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله، فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه" اهـ.

قال الإمام أحمد رحمه الله:" من رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة" انظر "الإبانة" لابن بطة 260/1.

وقال أبو بكر رضي الله عنه:" لست تاركا شيئا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ" اهـ البخاري ومسلم.

علق ابن بطة على هذا بقوله:" هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبيه عليه الصلاة والسلام فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزؤون بنبيهم وبأوامره....؟!".



وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:" لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها" قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط.

وقال: أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: والله لنمنعهن". أخرجه مسلم في صحيحه.

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال: إنها لا تصطاد صيدا ولا تنكأ عدوا ولكنها تفقأ العين وتكسر السن فقال رجل لعبد الله بن مغفل: وما بأس هذا؟ فقال: إني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا والله لا أكلمك أبدا" أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لابن بطة في "الإبانة" (ح96).

قال ابن بطة رحمه الله:" فاعتبروا يا أولي الأبصار فشتان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشح على أديانهم وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم، هذا عبد الله بن مغفل- صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد من ساداتهم- يقطع رحمه، ويهجر حميمه، حين عارضه في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحلف أيضا على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما في صلة الأقربين وقطيعة الأهلين". اهـ "الإبانة" له 259.

هكذا كان السلف الصالح، كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة عندهم على كل شيء، فكلام النبي عليه الصلاة والسلام هو الأول لا يقدم عليه كلام أحد من البشر كائنا من كان، كانوا عن السنة منافحين، ولها حامين، فإذا رأوا أحدا يعارضها أو يستهزئ بشيء منها- قصدا أو بغير قصد- قرعوه ووبخوه وزجروه ثم هجروه لا يكلمونه وقد لا يساكنونه.

وبذلك حموا السنة من كيد الكائدين، وعدوان المعتدين.

وكانوا بواجب النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائمين.

ثم جاء من بعدهم التابعون فساروا على طريقهم وحذوا حذوهم.

حتى إذا بعد الزمان، وطال بالناس العهد، وضعف الإيمان، وكثر الخبث والنفاق وقلّ الورع، وتجرأ كثير من الناس- من العلمانيين والعقلانيين و المبتدعين – على القول والكلام، فقال كل بهواه فردوا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فضلوا وأضلوا.

وقدر الله لنا أن نشهد هذا الزمان، زمان الفتن المضلة، فرأينا العجائب والعظائم، رأينا أمورا لايسع أحدا السكوت عنها بحال، فمن ذلك السخرية والاستهزاء بالسنة النبوية ومعارضتها بالعقول والآراء، على صفحات الجرائد وشاشات التلفاز وعلى مرأى ومسمع من الجهّال والعلماء، فنشكوا أمرنا إلى رب الأرض والسماء.

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

العدد: 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

الإمام مالك رحمه الله وتعظيمه للنبي عليه الصلاة والسلام وسنته

- ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا رحمهما الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك: يا أمير المسلمين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال:(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) الحجرات 2 كتاب "الشفا" للقاضي عياض رحمه الله (ج35/2).

- قال مالك رحمه الله - وقد سئل عن أيوب السختياني: "ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وقال: وحج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه". "الشفا" 36

- وقال مصعب بن عبد الله: "كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه" المصدر نفسه.

- لما كثر على مالك الناس قيل له: لو جعلت مستمليا يسمعهم؟ فقال: قال الله تعالى:(يا أيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وحرمته حيا وميتا سواء. بالشفا" 37.

- وقال أبو مصعب: "كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا وهو على وضوء، إجلالاً له"الشفا 38.

- و قال مصعب بن عبد الله: "كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم توضأ و تهيأ، ولبس ثيابه، ثم يحدث" نفسه.

- قال مطرف: "كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، و إن قالوا الحديث دخل مغتسله، واغتسل وتطيب، ولبس ثيابا جددا، ولبس ساجه "الطيلسان" و تعمم، و وضع على رأسه رداء، و تلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم" المصدر نفسه.

- قال «غيره»: "ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم" المصدر نفسه.

- قال عبد الله بن مبارك: "كنت عند مالك، وهو يحدثنا، فلدغته عقرب ست عشرة مرة، وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من المجلس، وتفرق الناس عنه قلت له: يا أبا عبد الله، لقد رأيت اليوم منك عجباً، قال: نعم، لدغتني عقرب ست عشرة مرة، و أنا صابر في جميع ذلك، وإنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم" الشفا 39.

- قال ابن مهدي: "مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث، فانتهرني وقال لي: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحن نمشي" المصدر نفسه.

- و ذكر: "أن هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطاً، ثم أشفق عليه، فحدثه عشرين حديثا، فقال هشام: وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا" المصدر نفسه.

كمال دين الإسلام

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وعلى حين تفرق من الناس، لا يعرفون من دين الله شيئا، بل حجة أهلها فيما اتخذوا من معبودات من دون الله ما حكاه الله عنهم: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) الزخرف 22 ومعتصمهم عند التنازع والاختلاف التحاكم إلى آراء الرجال، وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

فهدى الله بهذا النبي الكريم من الضلال، وبصره به من العمى، وجمع به الشمل بعد تفرق، وأصبح الناس يعيشون في ظل هذا الدين بنعمة صفاء العقيدة فلا يعبدون إلا الله ولا يخشون إلا إياه، ولا يحتكمون في شيء من أمور دينهم ودنياهم إلى أحد غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان التشريع من الله لهذه الأمة ينزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحيين (الكتاب والسنة)، (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم3-4، ولم يقبض الله تعالى نبيه إليه إلا بعد أن أكمل له ولأمته هذا الدين فأنزل عليه قبل وفاته بأشهر في حجة الوداع قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) المائدة3

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للآية: "أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدا"اهـ تفسير ابن كثير12/2 وانظر الدر المنثور17/3.

وقال البيضاوي رحمه الله: "(اليوم أكملت لكم دينكم) بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتي) بالهداية والتوفيق، أو بإكمال الدين، أو بفتح مكة، وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الإسلام دينا) اخترته لكم دينا من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير"اهـ تفسير البيضاوي 292/1.

فكمال الدين- إذن- من نعم الله العظيمة على هذه الأمة ولذا كانت اليهود تحسد المسلمين على ذلك.

روى البخاري ومسلم عليهما رحمة الله عن طارق بن شهاب قال:

"قالت اليهود لعمر إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا!

قال: وأي آية؟

قالوا: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا)

قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى عليه وسلم فيه، والساعة التي نزلت فيها: نزلت على رسول الله صلى عليه وسلم عشية عرفة في يوم الجمعة"اهـ.

فكل ما يقربنا إلى الجنة، ويباعدنا من النار إلا وقد بينه لنا رسول الله صلى عليه وسلم.

أخرج الطبراني رحمه الله في "معجمه الكبير" 1647 بسند صحيح عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال:" تركنا رسول الله صلى عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكر لنا منه علما، قال: فقال صلى الله عليه وسلم: "ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم"اهـ.

ولذا قال الشاطبي المالكي رحمه الله:" الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان"اهـ الاعتصام149.

ومن ثم نقول: أن لازم مذهب كل محدث في الدين محسن للبدع: أن دين الله ناقص، وأن الله عز وجل لم يكمل دينه، وأن رسول الله صلى عليه وسلم لم يتعبد العبادة الكاملة.

قال الشاطبي المالكي رحمه الله:" فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا يستدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: (سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول:(اليوم أكملت لكم دينكم)، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا)" اهـ الاعتصام 49/1.

فالله تعالى: بيّن والرسول صلى عليه وسلم: وضح وبلغ، والسلف الصالح رضي الله عنهم: فصل وسلك، فلم يعد لأحد في الدين رأي ولا كلمة، إلا العمل والإتباع ،وعلى هذا فحذار أن تتكلم كلمة في الدين، أو تعتقد عقيدة، أو تتعبد عبادة، أو تخترع طريقة أو تسلك سبيلا، أو تتصرف تصرفا إلا وعليه نور وشاهد من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى عليه وسلم وفعل سلف هذه الأمة، كي تحفظ لطريقك استقامته ولنفسك سلامتها.

وإياك والاستحسان والتزيين والمصلحة المخالفة للنص، وتقليد الرجال وإن وثقت بهم، فهذه من أوسع أبواب البدع، وبها ضلت الطوائف والأمم.

ولقد مرض الإمام أحمد وبشر بن الحارث عليهما رحمة الله فجاء الطبيب فدخل على بشر فسأله عما يجد فقال:" أحمد الله إليك أجد كذا وكذا".

ودخل على أحمد فسأله عما يجد فقال:" بخير".

فقال الطبيب للإمام أحمد:" إن أخاك بشرا إذا سألته بدأ بالحمد وأنت لا تفعل"، فقال أحمد للطبيب:" سله عمّن أخذ هذا؟".

فأخبره بالسند عن ابن سيرين أنه قال:" إذا حمد العبد قبل الشكوى لم يكن شكوى" فكان أحمد بعد ذلك يحمد الله، ثم يذكر ما يجد.اهـ" مناقب الإمام أحمد"لابن الجوزي رحمه الله 231.

"فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بعمل السلف الكرام، فمن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، لتركيبه الأدوية من عند نفسه، فربما صار دواؤه داء، وعبادته معصية، وهو لا يشعر لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئا فيه، فقد ظن الدين ناقصا وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد، وخياله الكاسد"اهـ "مفتاح الجنة لا إله إلا الله" 58 للمعصومي رحمه الله بتصرف.

العدد 05، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

قراءة في كتاب: "الحوادث والبدع"

لأبي بكر الطرطوشي -رحمه الله تعالى-

لقد كان لعلماء الإسلام الأعلام موقف حازم من البدع والمبتدعة، في بيان حقائقهم وأساليبهم في فهم الشريعة والتحذير منهم ومخالطتهم، مع الحث على اتباع الوحيين القرآن والسنة، واعتبارهما منهجاً للحياة، ولما كان الطرطوشي العلامة المالكي رائداً من رواد هذا المضمار، ارتأت جريدة "السبيل" أن تعرف بهذا الإمام العلم، محاولة منها التعريف بأعلام المغاربة الذين كاد أن يلفهم النسيان بردائه وإبراز جهودهم لخدمة الدين.

نبذة عن حياة أبي بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي، ولد سنة 450 هـ، وقيل بعدها بسنة في مدينة طرطوشة بالأندلس، وفيها نشأ وتعلم في مسجدها الكبير على يد بعض العلماء، ثم أخذ عن أبي الوليد الباجي في "سرقسطة" مسائل الخلاف، وسمع عنه وأجازه.

كانت أسرته على شيء من الثراء، لذا عاش في وطنه حتى الخامسة والعشرين من عمره، في كنف أهله يطلب العلم ويكفونه مؤنة السعي وراء الرزق، وفي سنة 474هـ غادر إلى الشرق وعمره آنذاك 25 سنة تقريباً، فأدى فريضة الحج ودرّس بمكة ولم يقم بها طويلاً، ثم اتجه إلى بغداد حيث تلقى المزيد من العلم في المدرسة النظامية وتجول بالبصرة، ولقي بها القاضي الجرجاني، وروى عنه شيئاً من أشعاره الزُهدية والتي ضمنها كتابه: (سراج الملوك) وغادر العراق وعمره آنذاك حوالي الثلاثين سنة إلى بيت المقدس وفيه لبث وقتاً يعلم الناس، ثم غادرها إلى جبل لبنان ومنه إلى أنطاكية وكانت آنذاك محاصرة من قبل الصليبيين مما دفعه إلى ترك الشام ميمماً وجهه صوب مصر، فنزل في "رشيد" فجاءه وفد من أهل الإسكندرية يحثونه على الانتقال إليهم قاضياً بعدما قتل بدر الدين الجمالي القائد العبيدي عدداً من العلماء، فاستجاب لهم ومن ثم استقر بالإسكندرية وبها تزوج وحفلت حياته بالنشاط والتدريس والتأليف مما جمع الناس حوله، وكان لا يغادر الإسكندرية إلا للاتصال بوزراء الدولة لنصحهم وإرشادهم مما جعل له مكانة أوغرت صدر القاضي "أبو طالب بن حديد" الذي كان منتظراً منه أن يكون من حاشيته، لكن زهد الشيخ وجرأته التي تصل أحياناً إلى نقد أحكام القاضي، كما فعل في تحريمه للمؤكولات الواردة من أوربا كالجبن الرومي، كل ذلك حدا بالقاضي إلى كتابة تقرير فيه ورفعه للحاكم "الأفضل" الذي ما يزال يتذكر موعظة الطرطوشي له والتي اتسمت بالقسوة، فأمر الحاكم بتحديد إقامته الجبرية في مسجد جنوب الفسطاط ولم يخرج من إقامته تلك إلا بعد أن قُتل "الأفضل"، ولما تولى الوزير "بالمأمون البطائحي" مكانه أكرمه وأخرجه، فظل في الإسكندرية لامع النجم يفد إليه طلبة العلم من الإسكندرية ومن غيرها.

ومن أهم تلاميذه من الإسكندرية "سند بن عون" العالم الفقيه الذي خلفه في التدريس إحدى عشرة سنة، وكذلك "ابن الطاهر بن عوف" والذي قام بنفس المهمة في التدريس، ومن تلاميذه الآخرين "بأبو بكر بن العربي المالكي المعافري".

مؤلفات الطرطوشي:

كان خصب الإنتاج وقد أحصي له أكثر من عشرين مؤلفاً ومن أهمها:

1 - الكبير في مسائل الخلاف. 2 - شرح رسالة أبي زيد القيرواني. 3 - معارضة إحياء الغزالي. 4 - العدة عند الكرب والشدة. 5 - سراج الملوك.

وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله سنة 525 ولعل حياته امتدت بعد هذا إن صح ما نقله "ابن خلكان" في وفيات الأعيان.

قال الطرطوشي في مقدمته: هذا كتاب أردنا أن نذكر فيه جملاً من بدع الأمور ومحدثاتها التي ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا إجماع ولا غيره فألفيت ذلك ينقسم إلى قسمين:

قسم يعرفه الخاصة والعامة أنه بدعة محدثة إما محرمة وإما مكروهة.

وقسم يظنه معظمهم - إلا من عصم الله - عبادات وقربات وطاعات وسنناً.

فأما القسم الأول، فلم نتعرض لذكره، إذ كفينا مؤنة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين.

أما القسم الثاني، فهو الذي قصدنا جمعه، وإيقاف المسلمين من هذه المنكرات والبدع لا مطمع لأحد في حصرها لأنها خطأ وباطل، وذلك لا تنحصر سبله ولا تتحصل طرقه، وإنما الذي تنحصر مداركه وتنضبط مآخذه فهو الحق، لأنه أمر واحد مقصود يمكن إعمال الفكر والخواطر في استخراجه ... ثم بين أبواب الكتاب الأربعة كما يلي:

1 - الباب الأول: فيما انطوى عليه الكتاب العزيز من الأمور التي ظاهرها سلم جرت إلى هلك، مورداً بعض الآيات ومنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: 104]. وذلك أن المسلمين كانوا يقولون للرسول: (راعنا) و(ارعنا) سمعك، وهي بالعبرانية كلمة سبّ من الرعونة، فكانت اليهود تقولها للنبي سباً، فمنع الله المسلمين أن يقولوها، وإن كانت جائزة، لئلا تتذرع اليهود بذلك إلى ما لا يجوز، وهذا في الحقيقة منع جائز في الظاهر لما كان يتطرق به إلى باطل ممنوع.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 6/108]. فمنع الله سائر المسلمين من سب آلهة الكفار، وهو مباح، لئلا يصير طريقاً لهم إلى سب الله تعالى عند ذلك.

ثم بين أن مما يدخل في هذا الباب والتحذير من الزيادة في دين الله تعالى والنقصان منه، قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 7/162]. قال أهل التأويل: طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فيدخلوا سجداً منحنين متواضعين ويقولوا حطة - معناه حط عنا خطايانا - فقالوا: (حنطة) استخفافاً بأمر الله فأرسل الله تعالى عليهم رجزاً من العذاب لقوا منه ما لقوا، لأنهم زادوا حرفاً في كلمة، فما بالك بالابتداع والتغيير بما لم يأذن به الله، ولم يرد في سنة رسوله.

2 - الباب الثاني: فيما اشتملت عليه السنة من النهي عن محدثات الأمور وأورد بعضاً من الأحاديث في التحذير من الأهواء والبدع، ومنها حديث ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه خط لهم خطاً ثم خط إلى جانبه خطوطاً، ثم قال للخط الأول: هذا سبيل الله يدعو إليه وقال للخطوط: هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، وما رواه الشيخان أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

وحديث البخاري عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل خيبر ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: الله أكبر، إنها السنن، لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل (اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ لتركبن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي وصححه.

قال الطرطوشي: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها.

ثم عقد فصلاً في تعريف البدعة قال فيه: إن أصل الكلمة من الاختراع وهو الشيء الذي يحدث من غير أصل سابق، ولا مثال احتذي، ولا ألف مثله ومنه قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي خالقها ابتداء، وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب وما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح والدليل على هذا ما سيذكره في أعيان الحوادث من تسمية الصحابة وكافة العلماء بدعاً للأقوال والأفعال.

3 - الباب الثالث: منهاج الصحابة في إنكار البدع وترك ما يؤدي إليها، ساق فيها آثاراً عن بعض الصحابة توضح ذلك، ومنها: ما رواه البخاري في كتاب الصلاة عن أم الدرداء، قالت: دخل علي أبو الدرداء مغضباً فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً.

وروى مالك في الموطأ عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة، يعني الصحابة، وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره، ورآها مخالفة لما أدرك من أفعال الصحابة.

وروى البخاري عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الموبقات.

قال الطرطوشي: فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمان طمس للحق، وظهر الباطل حتى لا يعرف من الأمر القديم إلا القليل فما ظنك بزمانك هذا، والله المستعان، قلت: وما ظنك أخي القارئ بزماننا هذا!

ثم ساق صوراً لفقه الصحابة في العبادات ومنها: عدم قصر عثمان بن عفان الصلاة في السفر، معللاً ذلك لئلا يعتقد الناس أن الفرض ركعتان، وقول أبي مسعود البدري: إني لأترك الضحية وإني لمن أيسركم مخافة أن يظن الجيران أنها واجبة.

ثم عقد باباً في صلاة التراويح وأحكامها، وكيف بدؤها ومستقرها.

وختم هذا الفصل ببيان الوجه الذي يدخل منه الفساد على عامة المسلمين، وبين أن سببله الجهل والأخذ عن العلماء الجهال، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وقد صرف عمر هذا المعنى تصريفاً فقال: (ما خان أمين قط ولكنه أؤتمن غير أمين فخان) قال الطرطوشي: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل وأضل.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قبل الساعة سنون خداعات يصدق فيهن الكاذب ويكذب فيهن الصادق ويخون فيهن الأمين ويؤتمن الخائن وينطق فيهم الرويبضة»، وهو التافه ينطق في أمور العامة. وقال سفيان: كانوا يتعوذون بالله من شر فتنة العالم ومن شر فتنة العابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

4 - الباب الرابع: في نقل غرائب البدع وإنكار العلماء لها، ومنها ما يلي:

1- القراءة بالألحان: وهو التطريب الذي ينقل القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني من مد المقصور، وقصر الممدود، وتحريك الساكن، وتسكين المتحرك لاتشقا نغمات الأغاني المطربة، فاشتقوا لها أسماء من شذر ونبر وتفريق وتعليق وهز وخز ومزمر وزجر.

2- ومنها القص في المساجد: لقصص الغابرين كبني إسرائيل، وغالبها لا يصح، ولذا منع عمر بن الخطاب تميماً الداري عن القص في المسجد.

3- ثم عقد فصلاً عن آداب المساجد وما داخلها من البدع، ومنها الأكل في المسجد وبناء السكن فوق المسجد والبصق به، والسؤال فيه وإنشاد الضالة ورفع الصوت فيه.

4 - ما روي من فضائل الأعمال في منتصف شعبان، وبيان أنه لا يلتفت إليه، وأورد قول "ابن أبي مليكة" رداً على ما قاله زياد البحتري: إن أجر هذه الليلة كأجر ليلة القدر، قائلاً: لو سمعته وبيدي عصاً لضربته.

5- بيان عدم صحة صلاة الرغائب وأنها مبتدعة من قبل ابن أبي الحمراء سنة 148 في بيت المقدس ولم يُسمع بها قبله.

6- تعظيم رجب بصوم أو عبادة، لا أساس له، بل الآثار ضده فعن أبي بكر أنه دخل على أهله وقد أعدّوا لرجب فقال: ما هذا ؟ فقالوا: رجب نصومه فقال: أجعلتم رجباً كرمضان ؟، وكره ابن عباس صيام رجب كله، وكان ابن عمر إذا رأى الناس وما يعدون لرجب كرهه وقال: صوموا منه وأفطروا فإنه شهر تعظمه الجاهلية.

قال الطرطوشي: فهذه الآثار تدل على أن ما يعظمه الناس فيه إنما هي نزعات من بقايا عهود الجاهلية، وأنهى الكتاب «فصل في جوامع من البدع ومنها»:

1 - دخول الحمام بغير متزر مع أهل الكتاب.

2 - الإيثار للعرس والجنائز للمباهاة والفخر.

3 - البناء على القبور بالحجارة.

4 - التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم.

5 - إقامة المآتم للأموات والتصدي للعزاء.

6 - خروج النساء للمقابر واتباع الجنائز.

العدد 29 . 05 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

نداء إلى أهلنا بالصحراء المغربية

إن هذه العقيدة لم تنطلق من فراغ بل هي نتاج زبالات الاشتراكية والشيوعية، زيّنت في زمن "الاستعمار" لكثير من أبنائنا بالصحراء والداخل، لتشتيت الكلمة والحيلولة دون الإصلاح المبنيّ على هدي السنة ونور الكتاب.

فما أشبه اليوم بالبارحة، فأمثال عبد العزيز المراكشي!! (ولو كان – بالفعل – للعزيز عبدا لخضع لكتاب الله الذي حرّم عليه الفرقة والتنازع، ولو وعى لقبه المراكشي لأدرك أنه إنما يبغي على بلد يحمل اسمه) هو وغيره ليس وراءهم إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن "ماء الحرية"!! حتى إذا جاءه وجد عنده صحراء مقفرة، ليس فيها أخضر ولا يابس فبئس الدليل،

فالغرض تشتيت المسلمين

بقلم: سعيد البحراوي

نداء إلى أهلنا بالصحراء، نداء إلى أهل التوحيد والتقوى، تمسكوا بدين الله الذي أمرنا به، وبعهده الذي عهده إلينا في كتابه، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله تعالى إذ يقول: «وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» آل عمران103.

قال المفسرون: "تمسّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم، واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم -أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم -بفضله- إخوانا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجّاكم من النار، وكما بيّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك يبيّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها" التفسير الميسر.

وحبل الله هو الأمان الذي يزول به الخوف، وهو النجاة من الجزع والذعر، فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ولا ينفعكم بعدها الأسف على أن ظلمتم أنفسكم أو ندمتم على أعمالكم.

لقد رضي الله منّا ومنكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم، ولا تكونوا يدا على إخوانكم فوالله الذي لا إله إلا غيره إن الألفة لرحمة وإن الفرقة لعذاب، وما تداعت علينا الأمم إلا بعد أن تركنا التمسك بديننا والإيمان بوحي ربنا.

وإن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه سبحانه، فعلى ما هذا البغض المستشري بين الإخوة في الدين، أهو في الله تعالى، أم في عصبية يعلم الله سبحانه نيات الداعين إليها؟

وهل ما يجري في وطننا العزيز من خصام وعداوة يرضي الله أم يغضبه؟

فليسأل كل منا نفسه قبل أن يسمع نداء الحق: «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ» الصافات24، ولا يغرّنّا تزيينُ من يدعو بغير دعوى الإسلام، بغية منصب أو مال.

فلقد أطلت علينا فتنة من قوم يعظمون أنفسهم، ويسعون في خطوطها، وليس لهم غرض إلا حب الرياسة لينالوا أغراضا دنيوية، يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، يزيّنون للناس الشقاق والفرقة، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) الشعراء227.

وهذا العداء يجني شره المسلمون، ويستثمره من كان بالأمس القريب للأوطان مستعمرا وللأعراض منتهكا، ويروّج له إعلاميا لتستمر نار الفتنة والفرقة متّقدة.

إن هذه العقيدة لم تنطلق من فراغ بل هي نتاج زبالات الاشتراكية والشيوعية، زيّنت في زمن

لقد رضي الله منا ومنكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم، ولا تكونوا يدا على إخوانكم فوالله الذي لا إله إلا غيره إن الألفة لرحمة وإن الفرقة لعذاب، وما تداعت علينا الأمم إلا بعد أن تركنا التمسك بديننا والإيمان بوحي ربنا.

"الاستعمار" لكثير من أبنائنا بالصحراء والداخل، لتشتيت الكلمة والحيلولة دون الإصلاح المبنيّ على هدي السنة ونور الكتاب.

فلماذا الفتنة الآن! ومن وراءها؟!

لا شك أن أعداء المسلمين وراء تأجيجها لنشر الفرقة والاختلاف، وليقتل بعضنا بعضا، ويأكل شديدنا ضعيفنا، فالحروب لا تبقي ولا تذر، ومن له دراية بالتاريخ يعلم ذلك علم اليقين.

وإن من أعظم الوسائل التي اسْتُغلت من غير قيد شرعي أو ضابط علمي، دعوة حرية التعبير، وحرية تقرير المصير، فأي مصير يُنْشَدُ عبر الضعف والهوان والمزيد من التشرذم والتفرق؟

وقد امتطى دعوة التفرق أهل الأغراض والأهواء، فسُخرت لهم منابر وقنوات لبثّ الفتنة في المسلمين، وإشغالهم بها، ليسهل الكيد والمكر، وما ذاك إلا تكملة لما وضعه "سايس" و"بيكو"، أسندت الأدوار فيه لبعض من بغى علينا من أبنائنا، لكن بقيت خيوط "الكراكيز" بأيدي محركيها، إلا أنهم اليوم لا يختفون كأسلافهم وراء الأستار، بل بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر.

وإن أيامنا هاته أيام فتن الناجي فيها مَن تَمَسّك بحبل الله – القرآن –، واتبع هدي نبيه العدنان صلى الله عليه وسلم، والمتمسك بهما صابرا متقيا، لن يضره كيد الأعداء، وهذا وعد من الله سبحانه إذ يقول: "وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا" آل عمران

ولنعتبر بالتاريخ "فهو في ظاهره لا يزيد عن إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو بذلك أصيل في الحكمة عريق".

فما أشبه اليوم بالبارحة، فأمثال عبد العزيز المراكشي!! (ولو كان – بالفعل – للعزيز عبدا لخضع لكتاب الله الذي حرّم عليه الفرقة والتنازع، ولو وعى لقبه المراكشي لأدرك أنه إنما يبغي على بلد يحمل اسمه) هو وغيره ليس وراءهم إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن "ماء الحرية"!! حتى إذا جاءه وجد عنده صحراء مقفرة، ليس فيها أخضر ولا يابس فبئس الدليل، فالغرض تشتيت المسلمين، وإذلالهم بعصا الذل أو سيف الإرهاب، وأحلاهما علقم.

فإن قيل ما المخرج من هذه الفتنة؟

جواب ذلك:

أولا: الحرص على السكينة ونبذ الفتنة.

ثانيا: أن يكون إخواننا من سكان الصحراء المغربية أول من يضرب على يد من يُريد شراً بهذا البلد الأمين، حتى تفوّت الفرصة على أعدائنا.

ثالثا: أن نحول هذه الفتنة إلى نعمة بالدعوة إلى ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، من جمع للشمل وتوحيد للكلمة، حتى يعود أمر هذه الأحداث بالخير علينا جميعا، فنعصم دماءنا ونحفظ حقوقنا، فالعصبية دعوى الجاهلية.

رابعا: أن نصون أنفسنا عن الدنايا، والأغراض، والرذائل، والمطامع، وأن نتناصح من ولاه الله أمرنا، وأن نبتعد عن التيه، الذي ليس وراءه إلا الحيرة والضلال.

خامسا: أن ندعو إلى الإصلاح ونبذ الاختلاف، وننتهز الفرصة، فنبادر لإصلاح ذات البين.

وليحذر من تسوّل له نفسه ممن يرى أنه عبد لله أن يتبع دعوة المتعنتين المفارقين للجماعة، فيشمله قول الله تعالى بقوله: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» الكهف 103-104.

لماذا اخترنا الملف

كثيرة هي العوائق التي تحول دون التقدم والازدهار، وعديدة هي العقبات التي تنتصب أمام المصلحين، إلا أنها رغم تنوعها وكثرتها تنهل وتهون إذا ما كان المجتمع تسوده الوحدة، ويطبعه الائتلاف، وتقوده مرجعية تعبر عنه، وعن قناعاته وهويته، وتعمل جاهدة على تحقيق تطلعاته وآماله، دون أن تتناقض مع معتقداته وثوابته، والتي تتلخص عند المسلمين في كلمة الإسلام، إذ حماية الأرض (الوطن)، وكذا طاعة ولاة الأمور كلها من الثوابت المندرجة تحت إسم الإسلام.

لذا، فالدين يمثل أصل كل الثوابت التي بُنيَ عليها المجتمع الإسلامي، بل هو العلة الأساس في وجوده، فمنه يستمد قوته، وقد أبى الله سبحانه إلا أن يجعل دين الإسلام خاتم الديانات وناسخ باقي الشرائع، إلا أن دعاة العلمنة في البلدان الإسلامية، أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى توحيد القيم وألسنتها، وبناء المبادئ على أساس أممي كوني، ينسخ كل ما خالفها من أحكام الشريعة السمحة، يستندون في مرجعيتهم إلى نصوص وضعها المستعمرون والغزاة عقب الحرب العالمية الأولى والتي أقحمت فيها الشعوب الإسلامية قسرا وظلما لكونها لم تكن كاملة السيادة على بلدانها.

وحتى تتماشى مواعظ الوعاظ، وخطب الخطباء، ودروس المعلمين، ومناهـج التعليم، وما تحمله كل هـذه الوسائل - بوصفها أشكالا تحمل مفاهيم ودلالات الخطاب الديني - مع مفاهيم المبادئ الكونية والمواثيق الدولية، كان لزاما أن نجددها سواء كانت في حاجة إلى تجديد أم لا، وسواء وجد المجددون أم عدموا المهم أن نجدد.

إذن ما دام الأمر كذلك، فليس غريبا أن يحتل موضوع تجديد الخطاب الديني حيزا كبيرا من اهتمامات المشتغلين بالإصلاح على مختلف مشاربه، وأن يتخذه كل زاعم للتغيير مطلبا من المطالب التي يقوي بها مسوغات معارضته لمنظومة ثقافية منـافسة، ويتوارى وراء ضـرورة تجـديد الـدين - خصوصا بعد أحداث 16 ماي الأليمة - ليصرف الأنظار عن عقم المشاريع الإصلاحية، والانعكاسات السلبية لما أنجز خلال الخمسين سنة من الاستقلال على مستوى التربية والتعليم على وجه الخصوص، والتي طغت عليها المفاهيم العلمانية حتى أصبح من يذكر الله خلال درس الجيولوجيا أو في درس الطبيعيات معبر عن عظمة الخالق، ينعت بالرجعي والمتخلف.

وأخطر ما في موضوع تجديد الخطاب الديني هو تلك الإشكاليات المتمحورة حول:

ما هو مفهوم التجديد المطلوب وما علاقته بالاجتهاد ؟

من سيتولى مهمة التجديد؟

هل هناك نموذج واحد للخطاب الديني يمكن أن يطرأ عليه التجديد؟

وما هي ملامح التجديد المطلوب؟

ونظرا لخطورة موضوع تجديد الخطاب الديني، وصعوبة الخوض فيه دون ضوابط، ارتأينا أن نفرده بورقات ملف هذا العدد علّنا نسهم في تنوير من يهمّه أمر التجديد في هذا الشأن، إلا أننا لا ندعي الإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع الذي يستلزم بسط الكلام فيه مجلدات بدل مقالات معدودة.

■ مفهـــوم الخـــطاب

- إعداد: نبيـل غـزال

- **أولاً:** على مستوى المفهوم اللغوي

المفهوم الأول: أصيلٌ، ثابتٌ، بسيطٌ غير مركّب، عرفته العرب وورد في القرآن الكريم، وفي حديث الرسول الأمين صلى الله عليه و سلم، وفي المعاجم اللغوية.

أما المفهوم الثاني: فهو معاصر ذو طبيعة تركيبية يتعدّى بها الدّلالةَ اللغوية، إلى الدلالة السياسية والإعلامية، وتتوضح الفروق بين الدلالات حسب السياقات التي تُورد فيها.

جاء في لسان العرب، الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميّز بين الحكم وضده. لسان العرب(856/2).

والخطاب كما ورد في كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكفوي: (419) هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطاباً.

- **ثانيا:** على مستوى المفهوم القرآني

تَعَدّدَ في القرآن الكريم لفظ خَطْب تسع مرات، وورد بصيغة خطاب ثلاث مرات، في قوله تعالى (فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب) سورة ص، وفي قوله تعالى (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) سورة ص، كما وردت هذه الصيغة في قول الله عزّ وجلّ (ربّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً) سورة النبأ.

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم، خَاطَبَهُ مخاطبةً وخطاباً: تكلم معه، والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة.

ونلاحظ في سياق ورود لفظ (خطاب) في الآيات القرآنية الثلاث، أن الخطاب يُقرن دائماً بالعزة، وشدة البأس، والحكمة، والعظمة والجلال لله تبارك وتعالى، وهنا مجالٌ فسيحٌ للتأمل والاستبصار والتدقيق في اكتناه المعنى العميق للفظ(خطاب)، مما يخرج به عن المفهوم اللغوي بحسبانه مراجعةً للكلام، أو الكلام الذي يقصد به الإفهام، ويرتقي به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعاني سامية تَتَفَاوَتُ بين العزة (وعَزّني في الخطاب)، والحكمة (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)، والعظمة الربانية والجلال الإلاهـي (رب السمـاوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا).

ويَتَلاقَى المفهومان اللغوي والقرآني، في التأكيد على الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن (فصل الخطاب) لا يتم على الوجه الأفضل، إلاّ إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق.

- **ثالثا:** على مستوى المفاهيم الحديثة:

الخطاب إصطلاح فلسفي، يقارب في الدلالة المقولةَ الفلسفية، فالخطاب الفلسفي لفلان، هو مناهجه في التفكير والتصوّر وفي التعبير عن أفكاره وتصوراته، وهذا الخطاب يَتَعَارَضُ أو يَتَوَافَقُ مع الخطاب الفلسفي لعلان.

قال الآمدي في الإحكام (136/1): "إن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه".

وقال صاحب كتاب "اللسان والميزان" ص: 215: "إن المنطوق به -أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدُّ الخطاب أنه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً".

ودخل هذا المفهوم في الفكر السياسي المعاصر، فصار الخطاب السياسي، منطوياً على الحمولة الفكرية والمضمون الإيديولوجي، مما يجعل الخطاب السياسي لهذه الجماعة معبراً عن عقيدتها السياسية واختياراتها المذهبية، فالخطاب في هذا المقام ليس مجرد أسلوب للتبليغ، وطريقة للتعبير عن الرأي والموقف، ولكنه الوعاء المعبّر عن الروح والعقيدة والفلسفة والمذهب.

وينطبق هذا المفهوم أيضاً، على الخطاب الثقافي، والخطاب الأدبي، والخطاب الإعلامي، وإن كان الخطاب الإعلامي أكثر استيعاباً للمضامين الواسعة، بحيث يمكن أن يستوعب المستويات الخطابية جميعاً، فيكون الخطاب الإعلامي الديني، والخطاب الإعلامي الفلسفي، والخطاب الإعلامي السياسي ... إلخ.

وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الإسلامي، باعتبار أنّ المقصود هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي.

بناءً على ما سبق، فإننا نستطيع أن نقول إنّ الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل.

ولا غضاضة في استبدال (الخطاب الإسلامي) بعبارة (الدعوة الإسلامية)، مادام القصد هو إيجاد صيغة أكثر شمولاً وأعمق دلالة للتعبير عن المعنى المقصود ولتحقيق الهدف المنشود، ونحن نفهم المبررات والدواعي وراء اختيار هذا المصطلح وشحنه بالمفاهيم الإسلامية وتوظيفه ليؤدّي معاني الدعوة الإسلامية بصورة مستفيضة، فقبل قرن من الزمن، عمد العلماء والمصلحون الذين تصدّروا للدعوة لأجل تنبيه العالم الإسلامي وترشيد حياة الأمة إلى استخدام مصطلح جديد ليؤدي هذه المعاني جميعاً، وإنما العبرة في حسن استخدام المصطلح والإفادة من مضامينه وتأثيراته وظلاله، حتى لا يكون الأمر مجرد اشتقاق ألفاظ بلا روح، واستعمال مصطلحات بلا معنى.

إنّ المناهج والأساليب تتجدّد بتطور المجتمع وبنشوء ظروف جديدة تتطلب المسايرة والمواكبة والتكيّف، لكن المضامين -في المنظور الإسلامي- لا تتجدّد إلاّ بالقدر الذي يزيدها وضوحاً وإشعاعاً وتأثيراً.

فالخطاب لا يكون شرعيا، إلاّ إذا كان صادراً عن مرجعية إسلامية مؤهلة، معبراً عن الهوية الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، مرتكزاً على المنهج القرآني المتمثّل في قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

ضرورة تجديد الخطاب الديني

المقصود بالخطاب الإسلامي كلّ بيان ينشر لتبيين حقائق الإسلام وشرائعه وتاريخه وتراثه في شتى مجالات الحياة عبر مختلف الوسائط والوسائل الإعلامية، وعلى رأسها المسجد، ولكنها لا تنحصر فيه، ويدخل في مفهوم الخطاب المحتوى والأسلوب كما يشمل الوسائل والتقانات.

يتهم "الخطاب الإسلامي في الأونة الأخيرة بأنه يغذي العنف والتطرف، وأنه يميل إلى الغلو والتنطع ويعلّم الكراهية وعدم قبول الآخر.

وهذا يوجب علينا تجلية خصائص الخطاب الإسلامي ودفع الشبهات عنه؛ لصد الهجمة الجائرة على الإسلام، ومقاومة الحملات الإعلامية التي تعمل على تشويه حقائقه.

وبغض النظر عن الظروف الراهنة، فإن مراجعة الخطاب الإسلامي ونقده عملية حيوية ضرورية، لتقويم مسيرته وتطوير أدائه؛ لأنه لا يعدو أن يكون جهداً بشرياً واجتهاداً لا عصمة له، وإنما العصمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن المحفوظ المشهور عن الإمام مالك رحمه الله قوله: "كل منا يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر" أي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن السنن الكونية التي قدرها الله على عباده أن كل شيء يخلق ويبلى، حتى الإيمان في جوف صاحبه، والخطاب الديني ليس خارجا عن هذا الاطار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"، فالتجديد في "الفكر" الإسلامي سمة أصيلة من سمات وخصائص خلود الرسالة الخاتمة، ويشغل في الإسلام مكانة عالية بكل ما تحمل من أبعاد، وشاء الله أن يكون الإسلام رسالة عالمية، ولذلك فإن مفهوم التجديد في الإسلام أصبح قضية ملحة من خلال التعامل مع كتاب الله، وسنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مهمة ليست سهلة، لكنها ليست مستحيلة، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه: هل التجديد ينصب على أصول الدين وثوابته وطرق فهمه؟ أم على طرق تبليغ وإحياء ما اندرس فيه؟

إن ختم النبوة ينفي إمكانية القيام بعملية التجديد في أصول الدين، فهي أصول ثابتة لا تقبل تغييراً، وهذا مقصور على القرآن الكريم والسنة الشريفة الصحيحة، باعتبارها خارج دائرة التجديد الذاتي، ومن ثم فإن التجديد يتحقق من خلال أساليب ومناهج يتم فهمها والتعامل معها بحكمة وحيوية.

إن بعض الحركات الإصلاحية ظنت أن الجانب السياسي أو الاقتصادي هو العائق أمام التجديد، ولذا فإن بعض هذه الحركات جعلت من التغيير السياسي هدفاً أساسياً لها، وقد حدثت بالفعل تغييرات سياسية عديدة في العالم الإسلامي، ولم يحدث تجديد يذكر، والأمر نفسه يمكن أن يقال على من يعوّل على الجانب الاقتصادي وحده، فقد أجريت في الكثير من الأقطار الإسلامية تغييرات اقتصادية، وقدمت الشعوب الكثير من التنازلات من أجل إنجاح هذه الخطط التنموية، ولكن لم يحدث تجديد ملموس.

الضوابط التي يجب أن نتقيد بها، ولا نذهل عنها تحت ضغط حُمّى الحديث عن تجديد الخطاب الديني

.. أن تكف وسائل الإعلام العلماني عن خطابها العدائي ضد الإسلام وقيمه وتاريخه ورموزه في بلد لطالما بذل أهله الأرواح والأموال حفاظا على الدين والأرض والعرض انطلاقا من مبادئ الدين والعقيدة وليس من مفاهيم العلمانية والحداثة الضيقة لمعنى المواطنة والانتماء.

فمثل هذا الخطاب السياسي العلماني يعدّ عاملاً من عوامل إذكاء نزعة العنف والغلو التي تعتري الخطاب الإسلامي بين الفينة والأخرى دفاعا عن نفسه ضد الحرب الإقصائية الشاملة التي يشنُّها العلمانيون على كل ما هو إسلامي انطلاقا من اللحية والحجاب وانتهاء بالبيعة وتحكيم الشريعة.

1- ألاّ يؤدّي تجديد الخطاب الإسلامي بدعوى مواكبة التطورات والمتطلبات والمعطيات العصرية إلى تغيير الثوابت أو التخلي عن أي مبدأ من مبادئ الإسلام أو الأحكام الشرعية المقررة، خاصة ما يخالف الشريعة السمحة في موضوع حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والتخلي عن المقاومة لتحقيق رغبة الغرب وإسرائيل.

فثمّة إذا قضايا ومطالب يستحيل الاستجابة لها، إذ الاستسلام والخضوع لها أو حتى طرحها يعدُّ تجرُّءا على دين الله وتحريفا واضحا صريحا لمعالم الإسلام، كالتأويل الفاسد للنصوص ليًّا لدلالاتها لتتوافق مع القيم الغربية الليبرالية، وهجر النصوص بالتعطيل أو التأويل وكذا تغييب وإبطال الفرائض والتكاليف الشرعية وحصر الخطاب الديني في العبادات والأحوال الشخصية فقط، فهذا يناقض المفهوم الشامل للإسلام ويضاد فطرته لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» البقرة 208، "في السِّلْم" أي في شرائع الإسلام وتكاليفه، وقال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم «كافة» أي جميعا وقيل :ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره فالتدخل السافر في تعاليم الإسلام ومبادئه وأحكامه يُعدُّ مجاوزة لتعاليم الشرع، واتباعا لخطوات الشيطان وبلغة العصر إرهابا فكريا وتخطيطا مستقبليا لنسف شخصية وهوية المسلم.

2- التجديد والتحديث ينصب على الخطاب الإسلامي، أي طرق تبليغه وتوصيله إلى الناس لا على الإسلام نفسه، إذ الاسلام قد أتمه الله وأكمله وأجمله، قال تعالى: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً» المائدة. "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ" أي الآن انقطع طمع الكفار من دينكم أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني، "اليوم أكملت لكم دينكم" أي دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه، ولا تفارقوه.

فالشريعة التي هي وحي من رب السماوات والأرض، أجدر وأحق بالحماية من عبث الجهال بها والغرباء عنها، فحرام أن تترك في أيدي من لم يرث عن الأنبياء علمهم فإنما هذا الدين أمانة، فلا توضع إلا في أيدي العلماء العاملين الذين يؤدون حقها وينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

3- مراجعة الخطاب الإسلامي يجب أن يرافقه إصلاح للخطاب السياسي والإعلامي على المستوى المحلي والعالمي، وأن تكف وسائل الإعلام العلماني عن خطابها العدائي ضد الإسلام وقيمه وتاريخه ورموزه في بلد لطالما بذل أهله الأرواح والأموال حفاظا على الدين والأرض والعرض انطلاقا من مبادئ الدين والعقيدة وليس من مفاهيم العلمانية والحداثة الضيقة لمعنى المواطنة والانتماء.

فمثل هذا الخطاب السياسي العلماني يعدّ عاملاً من عوامل إذكاء نزعة العنف والغلو التي تعتري الخطاب الإسلامي بين الفينة والأخرى دفاعا عن نفسه ضد الحرب الإقصائية الشاملة التي يشنُّها العلمانيون على كل ما هو إسلامي انطلاقا من اللحية والحجاب وانتهاء بالبيعة وتحكيم الشريعة.

4- تحريك عملية الاجتهاد والتجديد في أسلوب الخطاب ولغته وترتيب أولوياته، مع مراعاة إرادة الشارع الحكيم أثناء التعامل مع المصالح الطارئة والظروف الجديدة، شريطة عدم مصادمة أصول الشريعة وقواعدها، أو مخالفة أحكامها، سواء على مستوى مضمون الخطاب أو وسائله، إذ الوسائل لها أحكام المقاصد، فإن كانت المقاصد حسنة وشرعية فيجب في الوسائل أن تكون كذلك.

5- الموازنة والربط بين التأصيل الشرعي والاجتهاد، فالاجتهاد له ضوابطه وشروطه وحدوده وأهله، ولا يحل لأيّ كان أن يلج بابه.

7- التجديد مهمة من؟ وحق من؟ هذه مسألة غاية في الأهمية فالكل اليوم يتحدث ويقتحم مجال التجديد، بل وينظّر له أنصاف المتعلمين وأرباعهم وأدنى من ذلك، فضلاً عن غيرهم ممن لا علاقة له من قريب ولا من بعيد

←

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

بالإسلام وعلومه وفنونه، وخلاصة القول: إن مهمة التجديد محصورة في أولي الأمر من أهل العلم، قال جل وعلا: «وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً» النساء83 ، ويستعان بأرباب الاختصاص في الجوانب الاقتصادية والإعلامية ونحوها، وهي استشارة علمية أو فنية محضة، ولكنها مرجعية ضرورية بل واجبة شرعاً بأمر النص القرآني، أما أن يتصدر للتجديد من لاعلم له ولا فقه ولاخبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والنسخ والمصالح والمفاسد، فهذا ما لا يجيزه عاقل، إذ كيف لمن لا يعرف الطب أن يصف دواء فضلا عن أن يجري عملية جراحية، فإذا منعنا الجاهل بالطب من ممارسته فالشريعة التي هي وحي من رب السماوات والأرض، أجدر وأحق بالحماية من عبث الجهال بها والغرباء عنها، فحرام أن تترك في أيدي من لم يرث عن الأنبياء علمهم فإنما هذا الدين أمانة، فلا توضع إلا في أيدي العلماء العاملين الذين يؤدّون حقها وينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

فالماهرون في العلوم غير الشرعية وإن كانوا بارعين في مجالات معينة أو في اختصاصاتهم وفنونهم التي يشتغلون بها، إلا أنهم في العلم الشرعي لا يخرجون عن فصيلة العوام، كما هو حال العلمانيين الذين يرومون تبديل نصوص الشرع معنى بعد أن أعياهم تحريفها لفظا وخطا، وهذا التسيب والاستهانة بأمر حماية الشريعة من هؤلاء، من شأنه أن يحدث فسادا عريضا على كل المستويات وفي كل الميادين، إذ لا يقل إفسادهم في الدين والبلاد عن إفساد أقل الطوائف الدينية تشددا وتزمتا.

فالتجديد والاجتهاد مهمة الراسخين في العلم وأهل الحل والعقد في هذه الأمة عبر المجامع والمؤتمرات العلمية الجامعة، وإذا لم نراع شرط العدالة التي وردت في الحديث الشريف المذكور آنفا "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله.."وأغفلنا توافرها في من نقلده أمر التجديد والاجتهاد، ولم نعمل على توفير البيئة المناسبة لاحتضان المجامع والمؤتمرات المستقلة والنزيهة، فلنرتقب فوضى فقهية وفكرية ينهار إثرها سيل العرم، ويجرف معه البقية الباقية من قوة وتماسك وحدتنا العقدية خصوصا بعد تعالي الأصوات العلمانية" مطالبة بإفساح المجال أمام المتنصرين لدعوة المغاربة على غرار دعوة المسلمين لغيرهم، عملا بمبادئ العلمانية الداعية لحرية الكفر والارتداد باسم حرية التدين والاعتقاد.

8- العمل على تكامل وتناسق جهود الدعاة والإعلاميين والتربويين وسائر المعنيين بالخطاب الإسلامي درءا لوقوع التناقض فيه، مما يؤثر على أدائه للدور المرتجى منه في جمع الشمل وتوحيد الكلمة على المستقبِل للخطاب، سواء في المجتمعات الإسلامية أو غيرها، وتتجلى ضرورة التكامل أيضاً في مراعاة منهج القرآن والسنن في إيصال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وتجنب ما ينفر من قبولها.

9- ضرورة الاستفادة من جميع التقنيات الحديثة في مجال التواصل والاتصال وبخاصة القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية "الإنترنت" وذلك لتيسير إيصال الخطاب الإسلامي إلى الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم.

10- ضرورة بذل الجهد والمال من قبل المؤسسات الحكومية والخيرية والدعوية وكذلك من قبل الأفراد القادرين، على إيصال الخطاب الإسلامي من خلال وسائل الإعلام المتنوعة والكثيرة، لإيضاح حقائق الإسلام، وإزالة الشبهات وتفنيد التهم التي تثار حولها الاسلام وأهله، خاصة من جانب العلمانيين الحاقدين على الاسلام وأهله.

لا شك أن تجديد الخطاب الديني الذي دعا إليه الملك محمد السادس ـ حفظه الله ـ لا يروم تغيير مضامين النصوص الشرعية وذلك انطلاقا من كونه حاميا لحمى الوطن والدين، والمسؤول الأول عن الذبّ عن حرمة العقيدة، إلا أن العلمانيين لا يتوانون في استغلال هذه الدعوة لتجديد مضمون الخطاب الديني، أي (تجديد) القيم والتصورات والمبادئ التي يحتويها هذا الخطاب لتتماشى مع مشاريعهم ومخططاتهم الرامية إلى علمنة المغرب والمغاربة.

ما الهدف وراء تجديد الخطاب الديني؟

إن مشروع تجديد الخطاب الديني الذي يطرحه العالم الغربي اليوم لاسيما أمريكا هو تعبير عن تحولها من معالجة الأسباب إلى معالجة النتائج، حيث أن الخطاب الديني الحالي الذي يصفونه بأنه "متسم بالتشدد" هو في ذاته نتيجة لأسباب أخرى تتصل بالظلم والفساد وانحسار العدالة والهيمنة وغياب احترام كرامة الإنسان، وهذا يقتضي أن يجدّد الخطاب الديني بمعالجة أسباب تشدده، وليس من خلال تغيير مضمونه الذي من شأنه أن يكثف من ترسيخ الحقد والعداوة اتجاه الغرب المستخف بكرامة المسلم.

فالأمر بلا تعقيد أن أمريكا لها مصالح في أراضي المسلمين ومناطقهم، وأن شعوبهم ـ بوضعهم الحالي ـ تعد معَامِل تفريخ لمن يهددون أمن أمريكا، وعلى وجه التحديد فإن «المدارس الدينية في العالم الإسلامي تجند المتشددين الشبان» بحسب تعبير وزير الحرب الأمريكي "دونالد رامسفيلد"، كما أن هذا الواقع يعرقل التعايش والتعاون بين هذه الشعوب وأصدقاء أمريكا وحلفائها في المنطقة، وعلى رأسهم طبعا "إسرائيل".

فما السبيل إلى التغيير المنشود؟

فبنظرة فاحصة وبرتيب للأوراق بالمنطق الأمريكي وحسب رأي واضعي السياسة الخارجية الأمريكية نخلص إلى ما يلي:

– الإسلام بقيمه ومبادئه يمثل خطراً على أمريكا، وليس الأمر أمر (قوىً أصولية) يراد التخلص منها حسب النظرية الأمريكية القائلة بصدام الحضارات.

– تلك القيم والمبادئ هي التي تفرخ من تسميهم أمريكا بالمتطرفين، وتدفعهم للقيام بأعمال خطرة ضد أمريكا ومصالحها وأصدقائها وحلفائها.

– هؤلاء المتطرفون يتشربون هذه القيم والمبادئ الخطرة عبر منظومة معقدة من المفاهيم المبثوثة في مناهج التعليم والمواعظ الدينية، يغذيها أحياناً إعلام غير مسؤول، إضافة إلى عادات اجتماعية متوارثة ترسخ هذا النمط من القيم والمبادئ والسلوكيات.

– هناك ثلاثة عوامل رئيسة تساهم في تشكيل العقلية العربية والإسلامية: الإعلام والتعليم و(الخطاب الديني)، والأول قد تم السيطرة عليه، والثاني طبع بسمة التغريب إلا ما ندر منه، والأخير هو أخطرها لما يحمله من احترام و(تقديس) لدى فئات كثيرة، ولكونه يصل إلى جميع الطبقات ويخاطب جميع المستويات.

ـ (الخطاب الديني) هو جزء من الهوية والتكوين الروحي والفكري والنفسي والاجتماعي لهذه الشعوب والذي تشكل عبر سنين طويلة، فمن غير الممكن مصادمته وإسقاطه كلية بشكل فج ومباشر، خاصة إذا جاءت هذه المصادمة من غير أبنائه، وإنما يتطلب الأمر مشروعا متكاملا يطبق بأيدي نخبة من المسلمين وتحت توصية ومراقبة أمريكيتين، الشيء نفسه الذي تمّ بَعِيْدَ الاستعمار على المستويين السياسي والثقافي وذلك في أغلب البلدان الإسلامية حتى غدا من يدعو فيها إلى تطبيق الشريعة رجعيا وماضويا ومن يدعو إلى سيادة العلمانية تقدميا ومتنورا.

ما يلاحظ على هذه الحملة

– اتساق هذه الدعوة مع خطة تجديد مناهج التعليم التي أملتها وأوعزت بها قوى خارجية معينة، مستغلة أحداثاً وظروفاً معروفة، فجاءت هذه الحملة استكمالاً لخطط إعادة تشكيل العقلية المسلمة.

– إلتباس هذه الدعوة وعدم وضوح أهدافها، فعلى عادة العلمانيين والتغريبيين في الإيهام والغموض عندما يتعلق الأمر بخطوة يصعب على الناس هضمها، جاءت هذه الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، فكلمة (الخطاب) تحتمل أن يكون المقصود بها (مضمون) الخطاب ومحتواه، وتحتمل أن يكون المقصود بها (شكل) الخطاب بما يتضمنه هذا الشكل من أساليب ووسائل عرض المضمون .

ولا شك أن تجديد الخطاب الديني الذي دعا إليه الملك محمد السادس ـ حفظه الله ـ لا يروم تغيير مضامين النصوص الشرعية وذلك انطلاقا من كونه حاميا لحمى الوطن والدين، والمسؤول الأول عن الذبّ عن حرمة العقيدة، إلا أن العلمانيين لا يتوانون في استغلال هذه الدعوة لتجديد مضمون الخطاب الديني، أي (تجديد) القيم والتصورات والمبادئ التي يحتويها هذا الخطاب لتتماشى مع مشاريعهم ومخططاتهم الرامية إلى علمنة المغرب والمغاربة.

إن الاستغلال البشع من طرف العلمانيين لغموض معنى (تجديد الخطاب الديني) يمكنهم في الواقع من هدم القيم والثوابت والتصورات الإسلامية واستبدالها بمصطلحات مشوهة مفرغة من محتواها ـ إضافة إلى التعمية على مقصدهم الحقيقي ـ هذا الإيهام والغموض في المصطلحات أسقط بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية من علماء أو دعاة في الفخ المنصوب وذلك بالترويج لدعوة التجديد على النمط الغربي، ظنّاً منهم أن المقصود هو تجديد الوسائل والأساليب، وهذا التورط أعطى غطاءً مناسباً لأصحاب الدعوة الأصليين من متبجّحي العلمانيين ومن شايعهم لينفثوا سمهم ويعضدوا شبههم.

من هذا المنطلق يجب أن نفهم مؤازرة وترحيب العلمانيين بدعوة التجديد للخطاب الديني، لتكون الذراع الداخلي للتحرك الخارجي، من هنا وجب تسليط الضوء على غموض الجوانب الغامضة والمبهمة لهذه الدعوة لمعرفة هل هي دعوة للتجديد في اللغة واللهجة، أم في المضمون؟ وهل يمكن الفصل بين الاثنين؟ وهل هي تغيير في المصطلح؟ وهل لا يؤدي تغيير المصطلح إلى تغيير المفهوم؟

فإذا كان وعي الأمة يُقاس بقدرتها على الاستفادة من ماضيها، واستيعاب حاضرها، واستشراف مستقبلها، فإن قياس وعي أمتنا – والحال هكذا – لن يكون مشرِّفاً، إذ نرى الأمة غارقة فيما حدث، متخبطة فيما يحدث، جاهلة بما سيحدث وهو ما يدفعنا لطرح قضية «التجديد» للنقاش.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

...الباعث لهذا النوع البدعي من الإجتهاد، الجهل بالسنة وبمنهج السلف من ناحية، والتعالم والغرور وحب الشهرة، والانهزام النفسي وحب الزعامة، والاعجاب المفرط بالغرب من ناحية أخرى.
ووسائله رفع الشعارات الزائفة وإثارة الشبه، وبلبلة الأفكار والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية والاستخفاف بعلماء السلف، والاعجاب بكل جديد، والبغض لكل تليد.
وقال الشاطبي رحمه الله: "بل إذا عرضت النوازل روجع بها أصولها فوُجدت فيها، ولا يجدها من ليس بمجتهد، وإنما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه" وهذا يدل على أن الكلام خاص بالاجتهاد المعتبر شرعا لا غيره.

التجديد والاجتهاد بين المفهوم الشرعي والمفهوم البدعي

ملأ العلمانيون والعقلانيون وغيرهم – ممن انطلت عليهم تلبيسات المذاهب الفلسفية –، الدنيا ضجيجا برغبتهم في التجديد، وادّعوا أنهم أصحاب الفكر المستنير، الذي يخوّل لهم اقتحام ما تردد في الخوض فيه من هم أرجح منهم عقلا وأوفر منهم علما بالكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة، إلا أن حقيقتهم قد ظهرت لكل عاقل منصف، رغم تسترهم تحت رداء "الاجتهاد"!

فهذه الفئة اتجهت في معنى التجديد وجهة غير التي عرفها المسلمون على مرّ العصور، وحمّلت التجديد الوارد في السنة ما لا يتحمله، وقامت بعرض أفكار للتجديد بعيدة عن المنهج الإسلامي السوي.

أ- مفهوم التجديد عند العلمانيين ومن شابههم

يخلط هؤلاء بين مفهوم التجديد المذكور في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاجتهاد المقرر في علم الأصول، وذلك إنما يرجع لانعدام معرفتهم بعلوم الكتاب والسنة.

فمفهوم التجديد عندهم هو: "تطوير الدين عن طريق عصرنته والانعتاق من حدود الشريعة إلى بحبوحة القوانين التي تحقق الحرية، وقراءة نصوص القرآن و السنة قراءة جديدة، على ضوء ما سطره الفلاسفة ورجالات الثورة ضد الكنيسة".

وقد بنو تجديدهم هذا على الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه بحيث يكون فيه لكل مسلم نصيب، وأن يكون الفقه الإسلامي فقها شعبيا، والمجتهد عندهم هو: "من لا علم له بالقرآن والسنة واللغة والأصول لأن مجال الاجتهاد هو أمور الدنيا، ولا يشترط لها كل هذا من العلوم الشرعية، وإنما يشترط أن يكون المرء مستنيرا، عقلانيا، تقدميا، ثوريا وحضاريا..."

وأهلية الاجتهاد عندهم شيء نسبي وإضافي، وأنها جملة مرنة ليس لها ضوابط ولا شرائط، وأن الجمهور هم الحكم في تمييز الذي هو أعلم، متخذين من أعرافهم مقاييس لتقويم المجتهدين و"المفكرين"! انظر بمفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين" محمود الطحان 21.

والباعث لهذا النوع البدعي من الإجتهاد، الجهل بالسنة وبمنهج السلف من ناحية، والتعالم والغرور وحب الشهرة، والانهزام النفسي وحب الزعامة، والاعجاب المفرط بالغرب من ناحية أخرى.

ووسائله رفع الشعارات الزائفة وإثارة الشبه، وبلبلة الأفكار والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية والاستخفاف بعلماء السلف، والاعجاب بكل جديد، والبغض لكل تليد.

فما هو التجديد في الإسلام؟ ومن هو المجدد؟ وماعلاقة الاجتهاد بالتجديد؟ ومن هو المجتهد حقا؟

وهل يحق لهؤلاء العصرانيين أن يزعموا لأنفسهم شيئا من ذلك؟

ب- مفهوم التجديد في الإسلام وصفات المجدد

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" صحيح رواه أبو داوود في سننه" كتاب الملاحم"، وانظر السلسة الصحيحة 150/2 رقم599.

قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود: بتنبيه آخر: قد عرفت مما سبق أن المراد من التجديد إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات، ونقل عن صاحب مجالس الأبرار قوله: (ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله، والانتفاع بعلمه، إذ المجدد للدين لا بد أن يكون عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصرا للسنة، قامعا للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام العلماء فيه غالبا، واندراس السنن، وظهور البدع. فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين، فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحدا وإما متعددا)" اهـ391/11.

> **فليس من التجديد والاجتهاد في شيء اتجاه هؤلاء العلمانيين العقلانيين (وليسوا هنا نسبة إلى العقل وإنما إلى المذهب العقلاني الذي لا يقيم لغير المادة وزنا)، الذين يحاولون تفسير النصوص الشرعية، وفق مقتضيات الفلسفة البشرية، وليّ أعناق النصوص ليأ يتفق معها...**

فتبين أن المراد بالتجديد الوارد في السنة هو: بيان ما اندرس من معالم السنن ونشرها وحمل الناس على العمل بها والعودة بالمسلمين إلى ما كان عليه الرعيل الأول، على يد مجدد مصلح واحد، أو على يد جماعة مصلحة مجتمعة أو متفرقة، تقوم الاعوجاج، وتنقض الشبهات المثارة حول النصوص الشرعية، وتميّز بين ما هو سُنّي أصيل وبدعي دخيل.

وهؤلاء هم الموصوفون فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله:" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

قال صديق حسن خان رحمه الله تعالى شارحا الحديث: "يعني علم الكتاب والسنة، يحمله من كل جماعة آتية بعد السلف أهل العدل الراوون له، (ينفون عنه تحريف الغالين) أي: تغيير المتجاوزين عن الحد في أمر الدين، (وانتحال المبطلين) أي: يدفعون كذب أهل الباطل، (وتأويل الجاهلين) أي: يذبون تأويلهم الذي أولوه من غير علم وفهم للآيات والأحاديث، وصرفوه عن ظاهره..." اهـ الدين الخالص

فمهمة حمل راية التجديد الصحيح -إذن- قائمة على ثلاثة أسس:

الأول: درء الغلو.
الثاني: نقض الباطل.
الثالث: كشف الجهل.

فليميز العلمانيون أولا بين الغلو والباطل، و الجهل قبل أن ينتصبوا للتجديد والاجتهاد.

ج- علاقة التجديد بالاجتهاد

أما علاقة الاجتهاد بالتجديد فـ"من المعلوم أن كل ما نص عليه الكتاب والسنة نصا صريحا لا يجوز العدول عنه إلى ما يؤدي إليه الاجتهاد، وكذلك ما أجمع عليه علماء المسلمين، لا يصح أن يخالف فيه.... وانحصر الخلاف (في الاجتهاد) في أحكام الشرعية التي لم ينص عليها صراحة في الكتاب أو السنة، ولم يُجمع على حكمها علماء الأمة..." اهـ "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" 356 وما بعدها، فهد الرومي، بتصرف.

فاتضح أن مجال الاجتهاد الشرعي هو الأمور الظنية، ويتبعها الحكم على الوقائع والنوازل التي لم يرد فيها نص معين.

ولذا فإن الاجتهاد هو: "استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم" اهـ بجمع الجوامع" للسبكي 379/2 مع شرح المحلي وحاشية البناني.

قال العلامة بن أبي الأصبع في معالمه رحمه الله:

والاجتهاد إنما يكـــــون * في كل ما دليله مظنون**
أما الذي فيه الدليل القاطع * فهو كما جاء ولا منازع**

انظر "الصوارم والأسنة" للشنقيطي 152.

ومن توابع التجديد الشرعي الاجتهاد بوضع الحلول الإسلامية لكل طارئ وكشف الأحكام لكل حادث ممن هم أهل للاجتهاد والنظر وذلك بإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيدا عن التعصب... وفق التتبع والاستقراء للنصوص الشرعية وللقواعد المستخلصة من الكتاب والسنة والمعمول بها عند السلف الصالح رضي الله عنهم والمقررة عند

أهل العلم.

قال الناظم:

وإن الاجتهاد لايقوم به * إلا فقيه النفس حبر منتبه**
وإن الاجتهاد رأي المجتهد * محاولا لكشف حكم مستند**
وليس تشريعا إذ التشريع قد * يخص مولانا وليس لأحد**

انظر "المنحة الرضية" للشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي 443/3.

د- من هو المجتهد؟ وما هي أقسام الاجتهاد؟

المجتهد:

إن المجتهد في النوازل الحادثة والأمور الطارئة هو المجدد الذي يجدد للأمة دينها على رأس كل مائة سنة.

قال ابن القيم رحمه الله: "العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرض الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". اهـ "إعلام الموقعين" 212/4.

قال الناظم:

الاجتهاد باعتبارات قسم * لمتعدد فخذ تغتنم**
فباعتبار أهله قيل انقسم * أربعة مجتهد قد اتسم**
بمطلق وهو الذي قد يعلم * نصوص وحي الله وهو مُحكِم**
أقوال أصحاب الرسول يجتهد * لذي النوازل لنيل ما قصد**
فالنوع ذا جاز له الإفتاء * وجاز للناس به اقتداء**
مجدد الشرع الشريف لا ترى * نازلة إلا لها انبرى**

انظر المنحة الرضية للشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي 447/3.

وقال الشاطبي رحمه الله: "بل إذا عرضت النوازل روجع بها أصولها فوُجدت فيها، ولا يجدها من ليس بمجتهد، وإنما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه" الاعتصام" 361/1.

وهذا يدل على أن الكلام خاص بالاجتهاد المعتبر شرعا لا غيره.

أقسام الاجتهاد:

قال الشاطبي كذلك: "الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان:

أحدهما: الاجتهاد المعتبر شرعا، وهو الصادر من أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر إليه الاجتهاد...

وثانيهما: غير المعتبر، وهو الصادر عمن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه، لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض، وخبط في عماية، واتباع للهوى، فكل رأي صدر على هذا الوجه فلا مرية في عدم اعتباره، لأنه ضد الحق الذي أنزل الله كما قال تعالى: (وَأَنِ احكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) المائدة: 49. اهـ "الموافقات" 131/5.

وأخيرا نقول:

أفبعد هذا التقرير يحق لهؤلاء العصرانيين أو العلمانيين أن يزعموا لأنفسهم شيئا من التجديد والاجتهاد؟!!

فليس من التجديد والاجتهاد في شيء اتجاه هؤلاء العلمانيين العقلانيين (وليسوا هنا نسبة إلى العقل وإنما إلى المذهب العقلاني الذي لا يقيم لغير المادة وزنا)، الذين يحاولون تفسير النصوص الشرعية، وفق مقتضيات الفلسفة البشرية، ولَيّ أعناق النصوص ليا يتفق معها...

إن الحركة التجديدية حقا بحاجة إلى أعلام كعمر بن عبد العزيز رحمه الله، والإمام الشافعي رحمه الله، وشيخ الإسلام رحمه الله في آخرين من أئمة هذه الأمة، وليس على الله بعزيز أن يُقيّض لعباده مثلهم في زمن نعيق و نهيق سمي زورا علما ومعرفة وتنويرا، فأي نور لا يصدر عن مشكاة النبوة، وأي علم لا يتأسس على كلام النبوة، وأي معرفة لا تغترف من منهل النبوة.

فأين أفراخ المعتزلة الجدد من العصريين المنهزمين أمام مادية الغرب وفجوره وإلحاده؟! من أمثال هؤلاء العلماء الأبرار؟! أيجدد في دين الله من هو بحاجة إلى توبة نصوح يقوّم بها سلوكه، وشطحات أفكاره من سموم الأعداء، حتى لا يهدم باسم البناء، ولا يخرب باسم التجديد والاجتهاد والنماء.

من الذي يجب أن يغير ثقافته؟

كثرت الانتقادات على الدعاة وخطابهم خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر وبدأنا نسمع هتافات تطالب بتغيير الخطاب الديني الإسلامي، وزادت هاته الهتافات والإكراهات من طرف الدول الغربية خصوصا أمريكا، وذلك عبر خطابات مسؤوليها على أعلى مستوى، مما حدا ببعض بني جلدتنا أن يتبنوا نفس الطرح الغربي من أجل تجديد الخطاب الديني.

وبالفعل كان لهم ما أرادوا حيث قامت حكومات بعض الدول الإسلامية بتغيير المناهج والمقررات التعليمية وحذف كل ما يمكن أن يشكل خطرا على الغرب كمفهوم الولاء والبراء والسير والغزوات حتى تتماشى مع انتقادات وطروحات الإصلاح الغربية.

وأصبحنا أمام تطبيع غير مباشر مع مستعمري الأمس، من النصارى وصهاينة اليوم مغتصبي الأقصى الشريف، دون أن نحوجهم إلى "كمب ديفد" أخرى.

وصرت تسمع كثيراً من المنهزمين نفسيا ينحو باللائمة على أمتنا ويعيِّرها بما تعانيه، وصار الحديث بهذا الأسلوب عنوان (موضوعية) المتحدث، وعلاقة (وعيه بالواقع)، وآية (تجرّده وإنصافه) وصار هذا كله موجبا بأننا أمة بطبيعتها (متخلفة)، فإذا حاولنا أن نذكرهم بأننا أمة بانية بطبيعتها، أمة ناهضة بفطرتها، أمة قائدة بدينها، أمة رائدة برسالتها، أمة صنعت للعالم أول حضارة متكاملة، حضارة لم تر الدنيا مثلها، لا قبلها ولا بعدها.

إذا حاولنا أن نقول ذلك لم تجد من يسمع لنا، بل منهم من ينفرون منك نفار الأوابد، قائلين: لا تصدّعوا رءوسنا بالماضي، ولكن حدثونا بالواقع، وآخرون يذهبون أبعد من ذلك فيذكرون لك من مآسي وفظائع التاريخ الإسلامي ما تقشعر لهوله الأبدان، حتى يصير ما تحكيه من حضارة وإنجازات مغموراً في بحر هذه المآسي والظلمات التي شنّشنوا لك بها.

مع أن لدى الآخرين، وفي تاريخهم، بل في واقعهم الآن من الفظائع والشنائع ما لو وقع لمعارة منه في بحر تاريخنا لتجسه.

- فأمتنا لم تتاجر في الأفيون، ولم تشعل حرب الأفيون لتفتح الأسواق أمام تجارة الأفيون وترغم الناس على تعاطيه بالحديد والنار.

- وأمتنا لم تفرّغ قارة بأكملها من سكانها كي تأخذ أرضها ومزارعها، أمتنا لم تقتل الهنود الحمر بأخس الوسائل وأحقرها وأبشعها: بنشر الأمراض القاتلة والأوبئة الفتاكة بينهم عن طريق الملابس والأغطية الملوّثة بالجراثيم!!

- أمتنا لم تخطف الأفارقة الأحرار من مدنهم وقراهم لتتخذهم عبيداً، يفلحون لهم الأرض التي فرّغوها بإبادة أهلها (وعامة مثقفينا يقولون: إن أوروبا هي التي حررت الرقيق).

- أمتنا لم تحرق المحاصيل من الحبوب والفواكه حتى تحافظ على أسعارها.

- أمتنا لم تقتل الأبقار - الزائدة عن الحاجة - تخلصا من بحيرة الحليب وجبل الزبد الزائد عن حاجتهم!!! (كان ذلك في سنة 1984م وهو عام المجاعة والجفاف في إفريقيا، وقد تناقلت وكالات الأنباء ذلك بدون أي حياء أو خجل).

- وأما عن السماحة والتسامح وحقوق الإنسان، والتعايش مع الآخر التي ملئوا بها أفواه مثقفينا. فيكفي أن نضع أمام القارئ الكريم هذه الوثيقة وهي عبارة عن مجموعة القوانين التي فرضت على المسلمين الذين كانوا في هذه البلاد الأوروبية قبل دخول العثمانيين إليها، اقرأ هذه القوانين وتأمل، واعرف البون الشاسع بين تعاليم ديننا الحنيف وبين قوانيهم المادية.

الوثيقة:

1- جاء في مرسوم أصدره الملك أندْريا الثاني بتاريخ 1233/8/20م: "يحرم على المسلمين جميعًا تولي أية وظيفة من وظائف الدولة".

2- بلغت الاستهانة بالمسلمين ذروتها حين صدر مرسوم في عهد "كارل الأول" سنة 1341م جاء فيه: "على جميع الرعايا الذين لم يعتنقوا المسيحية بعد، إما أن يُعمَّدوا وفقًا لتعاليم المسيحية، أو يغادروا البلاد".

وتصور المأساة في بعض مراحلها، مجموعةُ القوانين الهنغارية التي تحمل النصوص التالية:

- "المادة 46" كل من رأى مسلماً يصوم، أو يأكل على غير الطريقة المسيحية، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير، أو يغتسل قبل الصلاة، أو يؤدي شعائر دينه، وأبلغ السلطات بذلك، يُعطى له جزء من أملاك هذا المسلم مكافأة له.

- "المادة 47" على كل قرية مسلمة أن تشيِّد كنيسة، وأن تؤدي لها الضرائب المقررة، وبعد الانتهاء من تشييد الكنيسة يجب أن يرحل نصف مسلمي القرية، وبذلك يعيش النصف الآخر معنا كشركاء في العقيدة، على أن يؤدوا الصلاة في كنيسة يسوع المسيح الرب بطريقة لا تترك شبهة في اعتقادهم.

- "المادة 48" لا يسمح للمسلم أن يزوج ابنته رجلاً من عشيرته، وإنما يتحتم عليه أن يزوجها رجلاً من الجماعة المسيحية.

- "المادة 49" إذا زار شخصٌ ما مسلمًا، أو إذا دعا مسلم شخصًا لزيارته، يجب أن يأكل الضيف والمضيف معًا لحم الخنزير".

[النص اللاتيني لهذه القوانين يوجد في مجموعة القوانين المَجَرِيّة، المراسيم العامة المتضمنة العهد المجري أنظر القانون الدستوري تأليف ستيفانو دي فريس بودي ص135، 148، 157].

أنظر وتأمل، كيف فعلوا بنا، ثم دخل العثمانيون نفس الديار بعدُ، فكانت السماحة والعدل. وبلغة العصر أو الرطانة التي علمونا إيَّاها نقول: من الذي لا يحسن التعايش مع الآخر؟

ونذكر موقف ابن تيمية الخالد حين رفض قرار التتار "المغول" بالإفراج عن أسرى المسلمين فقط، مطالبا بأن يسلموه الأسرى النصارى المحتجزين لديهم، وعيا منه بحقوق الذميين المجاورين للمسلمين، وقع هذا في الزمن الذي ينعته العلمانيون بالقرون الوسطى ومن شخص ابن تيمية الذي يسمون فكره بالتطرف والغلو.

ولا يجب أن نتوهم أن ما ذكرناه إنما كان في العصور التي كان يسود فيها حكم الكنيسة، وأن العلمانية تمكنت من اجتثاث مظاهر الحقد والكراهية من العقلية الأوربية بقضائها على تداخل الدين في السياسة، فما زال العالم لم ينس بعد دماء المسلمين في البوسنة والهرسك التي سُفِكت تحت سمع وبصر الدول العلمانية التي لم تحرك ساكنا ولم تبلّ حتى مداد أقلامها دفاعا عن المسلمين هناك، بل على العكس من ذلك قام أحد كبراء قادتها وهو "فرنسوا ميتران" بالتصريح علانية: "إن فرنسا ترفض أن تقوم دولة إسلامية في أوربا"، معطيا بذلك الضوء الأخضر لنصارى الصرب كي يُبيدوا المسلمين بلا هوادة، وبالفعل تم ذلك في مذبحة "زربينيتشا" التي راح ضحيتها نحو ثمانية آلاف (8000) مسلم في عام 1995، رغم تمركز نحو 110 من قوات حفظ السلام الهولندية دون أن تطلق رصاصة واحدة، هذه المذبحة اعتبرت أسوأ مذبحة عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

فمَن الذي عليه أن يغير ثقافته، ثقافة الحقد والكراهية؟ ومَن الذي يجب أن يغير خطابه الديني؟

العدد 05، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

تجديد الخطاب الديني وتربص العلمانيين بالإسلام

بقلم: إبراهيم الطالب

يعتبر تجديد الخطاب الديني من أصعب وأدق المواضيع التي يمكن أن يتناولها الباحث دون أن يستهولها، وذلك نظرا لدقة العملية من جهة ولقداسة موضوعها من جهة ثانية، ولصعوبة تطبيقاتها من جهة ثالثة، وتكمن تلك الدقة والصعوبة في تحديد أي خطاب ديني يجب أن يجدد ويغير، مادام هناك عدة خطابات دينية تتنوع بتنوع الجهات التي تمارس هذا الصنف من الخطاب.

لذا، فإن عشرات الأسئلة تقفز أمامك وأنت تستشرف الكتابة في موضوع التجديد، ومن أبرزها تلك التي تتمحور حول عناصر التركيب نفسه (التجديد- خطاب- دين) فما هو مفهوم التجديد؟ وماذا يقصد بالخطا ب؟ وكيف يفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي؟ هذا إذا كنا بالفعل نعتبر الإسلام دينا ودولة لكن السؤال الأكثر إلحاحية في هذا البحث، والذي لا يمكن أن يغفل في تحليل الإشكاليات السابقة هو: من هو المجدد؟

أولا: صعوبة تناول موضوع التجديد

إن مسألة التجديد مثلها مثل كل القضايا التي لها تشعبات متعددة الاتجاهات والمستويات تستغرق ما هو سياسي وديني واجتماعي لهذا يصعب الإلمام بها في مقال أو حتى عشرات المقالات وذلك لكثرة الجزئيات التي لا يمكن أن ينتظمها أصل واحد أو أصلين، ولأن طبيعتها تختلف باختلاف مرجعيات الأشخاص التي تتناولها.

ونظرا لهذه الطبيعة، فلا ينتظر أن تحظى أية محاولة للتجديد برضا كل الفصائل أو التيارات ولو داخل نفس المنظومة الفكرية أو العقدية فما بالك عند اختلاف المنظومات وتناقضها بل تصارعها، وهذه الدقة والصعوبة هي ما يضفي على عملية تجديد الخطاب الديني خطورة تجعل أي تساهل في ضبط أبسط جزئياتها له آثار وخيمة عل البناء العقدي والديني للأجيال القادمة، والتي تنذر الهجمات الفكرية والعسكرية التي يعرفها العالم الإسلامي اليوم أنها ستعيش الهيمنة الكاملة للنموذج الغربي بعد أن أزيح النموذج الإسلامي عن جميع الأصعدة.

كما أن هناك مواضيع وملفات تفرض نفسها على الخطاب الديني وتكتسب إلحاحيتها وأحقيتها في التعبير عنها بقوة من خلاله، وذلك لما لهما من وحدة في الانتماء، فإن كانت مثلا مواضيع كإحتلال الصهاينة لفلسطين واغتصابهم للقدس الشريف، والاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، والاحتلال الروسي لشيشان، والهيمنة الصهيو-أمريكية على مقدرات الدول الإسلامية، هي مواضيع سياسية اقتصادية دينية، فالسؤال الذي يطرح نفسه على الخطاب الديني هو: كيف يمكن لهذا الخطاب أن يتناول مثل هذه الموضوعات من وجهة نظر الواجب الديني في توعية الناس وتوجيههم؟

فهل يمكن للمُخاطِب "الديني" أي الفقيه والخطيب والمفتي والعالم ومدرس التربية الإسلامية أن يجيب مُخاطَبَه بما يقتضيه الواجب الديني في بيان العلم والإخلاص في النصح أم يضطر إلى الاستجابة مكرها باسم تجديد الخطاب الديني رغم أنه لا علاقة للتجديد بما فيه نص صريح الدلالة قطعي الثبوت.

إن خطورة إجراء أي تجديد للخطاب الديني تنبعث من صعوبة تحديد من يوكل، إليه صياغة إجراءات ومطالب ومواضيع التجديد وتحديد آلياته ووسائله، وهل فعلا يحتاج الخطاب الديني إلى تجديد أم المسألة مجرد إكراه سياسي داخلي وضريبة تحالفات وعلاقات خارجية غير متكافئة القوى؟

ثانيا: التجديد إكراه أم حاجة

لا أحد يماري في كون التجديد أضحى مطلبا ملحا منذ خروج الاستعمار، وليس في الأونة الأخيرة فقط، إلا أن المسألة ليست في صدق حاجتنا للإصلاح والتجديد أم لا، وإنما في استقلاليتنا من ناحية الاختيارات، وفي مدى انسجام هذه الاختيارات مع مرجعيتنا الدينية، فحكومات الدول الإسلامية خصوصا بعد 11 سبتمبر 2001 لم تعد تستطيع قول: "لا" في كثير من الملفات خصوصا ما تعارض مع النظرة الإستراتيجية للولايات المتحدة لعالم ما بعد الأحداث المذكورة، والذي أطلق عليه قبل الأحداث اسم "النظام الدولي الجديد".

إن إكراه أمريكا للمجتمعات الإسلامية على تغيير خطابها الديني، إنما هو مظهر من مظاهر الغلبة في زمن الوهن، فالغالب يطلب من المغلوب أن يغير خطابه الذي يوجهه إلى أبنائه حتى يتماشى مع مصالحه، ليضمن عدم مقاومة مشاريعه الاستغلالية، وإلا فلماذا لم يُطالب الغرب الكيان الصهيوني بتغيير خطابه الديني، الذي ملؤه إقصاء الآخر بل قتله واغتصاب أرضه وكل ما يملك.

إن الكيان الصهيوني - وهذا لم يعد يخفى على أحد - بنى وطنه القومي المزعوم على أساس خطاب ديني متطرف، وما زال يُقَتِّل فينا منذ 70 سنة على أساس خطاب ديني، فلماذا لم يطالبه "بوش" ولو في خطاب واحد من مئات الخطابات والتصريحات التي يخصصها لأمر ونهي الشعوب الإسلامية، بل لماذا لم يوجه خطابه حول السلام لإخوانه في العقيدة المسيحية - الصهيونية أمثال القس "بات روبرتسون" الذي يقوم عبر شبكته التي قام بتأسيسها تحت اسم إذاعة البث المسيحي (CBN) بمخاطبة سامعيه بواحد وسبعين لغة، يشحنهم بكل عبارات الكراهية والحقد ضد المسلمين والإسلام، ويحثهم على مساندة "الكيان الصهيوني" ويَعِدُهم بالنجاة من أحداث المعركة الفاصلة التي سيهلك فيها العالم إثر حرب نووية شاملة تعجل نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولن ينجو من تلك المعركة إلا من كان على مثل عقيدته.

فمن هو أولى بالضغط عليه لتغيير خطابه الديني أم هو التطبيق الحرفي للنظرية "الداروينية" في السياسة "البقاء للأقوى".

وحتى نبين أن الغرب يرمي بثقله على العالم الإسلامي حكومات وشعوبا من أجل تغيير خطابه الديني، نورد كلاما لأحد الكتاب النرويجيين أورده في مقال له تحت عنوان "فوبيا" الخوف من الإسلام:

"في النرويج التي أعيش فيها على سبيل المثال لا زال الخوف من الإسلام يشكل هاجسا يتزايد يوما بعد يوم، وأكثر الادعاءات ضررا حول المسلمين لا تصدر فقط من "كارل إفار هاغن" زعيم الحزب التقدمي المعروف بعدائه للأجانب، وإنما تصدر أيضا من أكاديميين يفترض فيهم العلم والتمحيص والموضوعية".

إلا أننا نتفهم كل اعتداء أو استهداف من طرف المسيحيين والصهاينة فلهم دوافعهم التاريخية، أما الذي لا يمكن لأي مسلم أن يتفهمه هو رقص العلمانيين على ألحان الأمريكيين في كل المواقف ودون استثناء، وخصوصا ما تعلق بالدين وممارسته.

ثالثا: تجديد الخطاب الديني وتربص العلمانيين

مما يزيد من خطورة اتخاذ أي خطوة غير مدروسة في مجال تجديد الخطاب الديني بالمغرب، سواء بخصوص مناهج التربية والتعليم أو خطب الجمعة والأعياد هو تربص العلمانيين بالحقل الديني وتمكنهم من المشاركة في تنظيمه من جهة، وضعف اهتمام الدولة في الحد من اختراقها مما مكنهم من فرض آرائهم ومواقفهم العلمانية المعادية للدين مستغلين سيطرتهم على أغلب أجهزة الإعلام المكتوبة والمرئية والتي تساعدهم على تمرير خطاباتهم العلمانية خصوصا عبر سيناريوهات الأفلام ومواضيع البرامج، هذا بالإضافة إلى ما يخوله لهم وبشكل قانوني ما تحت أيديهم من وزارات ومرافق عمومية بمواردها البشرية والمالية وأحزاب أصبح أغلب أعضائها يصرح بعلمانيته ونبذه للقيم الدينية.

مما مكَّنَهُم من إحداث عدة تغييرات على المناهج التعليمية والمقررات متوارين وراء ضرورة تضمينها لثقافة حقوق الإنسان وأسس الديمقراطية، مما أفرز في المجتمع المغربي نخبة مسلمة بالوراثة، علمانية من حيث القناعة والسلوك والتوجه، وهي التي تدافع اليوم بشدة عن العلمانية وضرورة تبنيها بشكل صارم على جميع المستويات.

ونظرا لتكرار هذا التيار محاولاته التسرب إلى كل المجالات التي لها علاقة بالدين، وما يرمي إليه من تغيير على مستوى التأطير الاجتماعي والثقافي والديني للمغاربة حتى ينسجم مع مشاريع العلمنة الشاملة المدعومة خارجيا، نحذر وبكل شدة من العواقب التي يمكن أن تترتب ليس على الاقتصاد فقط، ولكن على وحدة العقيدة والدين، ويتجلى ذلك في حرص العلمانيين على ضمان الحرية للصليبين وغيرهم من الأديان لدعوة المغاربة لاعتناق عقيدة التثليث انطلاقا من المبادئ العلمانية التي تبيح حرية الارتداد والكفر تحت مسمى حرية الاعتقاد يقول أحمد عصيد: "أليس من المفارقات العجيبة والمضحكة أن يكون للمسلمين آلاف الجمعيات التبشيرية النشيطة في ألمانيا وهولندا وفرنسا وانجلترا وأمريكا وكندا وغيرها من الدول الغربية، .. وتعمل في المساجد والمقرات بكل حرية، ولكن داخل البلدان الإسلامية يعتبر التبشير بأي دين آخر خطرا عظيما ينبغي محاربته... هذا المثال يظهر بوضوح فضل العلمانية وحقيقتها، إنها مقترنة بالحرية، حرية الاعتقاد أو عدمه، ولكن في الحالتين معا حالة الإيمان وعدم الإيمان، يكون الفرد في ظل العلمانية ذا موقف حر واختيار مسؤول، لا يخضع فيه لإكراه أية سلطة أجنبية عن ذاته". "الأحداث المغربية" عدد 2283 بتاريخ 29 أبريل 2005.



إن هذا الكلام أدلى به أحد مفكري العلمانية وأساتذتها المتنورين!!! وليس مما تنشره هذه الجريدة في ملحق فنون الدعارة والشذوذ حتى نتجاهله.

فكيف بالله عليكم، يمكن لمن يقول مثل هذا الكلام أن يتكلم عن تجديد الخطاب الديني، وكيف تكون طبيعة هذا التجديد إذا صدر عن العقول التي مسختها العلمانية فلم تعد تعرف للإسلام حرمة بل تسوّي بينه وبين البوذية، وعبادة البقر والحجر وترى في ذلك ممارسة لحقوق شخصية.

إن تجديد الخطاب الديني من وجهة نظر العلمانيين لا يمكن أن يكون إلا في إطار تغيير المفاهيم الدينية حتى تتماشى مع نظرتهم للدين من جهة، ونظرتهم للدولة من جهة أخرى، أي لا أحكام شرعية تبقى ولا بيعة لولي الأمر تؤخذ، وهذا معنى مطلبهم "الملك يسود ولا يحكم"، وهم يصرحون بذلك علنا في ظل الحرية غير المنضبطة والتي سيّبت كل شيء.

رابعا: ختام

فإذا كان موضوع تجديد أي خطاب من أخطر وأهم المواضيع التي يؤثر فيها اختلاف المرجعيات والمنطلقات، ومادام الخطاب المزمع إخضاعه للتجديد في بلادنا يكتسي النعت الديني، فكيف يسمح فيه بالتطاول العلماني؟! وكيف يسمح لمن عُلِم منه بُغضه لسيادة الشريعة الإسلامية، وظهر على لسانه كراهيته لمظاهرها، وعلى رأسها البيعة، أن يشارك ولو برأيه في الخطاب الديني وما يتعلق بتجديده بله أن يساهم في إجراءاته وتطبيقاته.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

أعظم الكرامة لزوم الاستقامة

بعض الناس طويل اللسان في اللؤم، قصير الباع في العلم، وثاب على الشر، مناع للخير، أخذ على نفسه نقد الأصول والمفاهيم بجهل غريب، كان قد سكت ألفا لمّا أعياه الأمر، ثم الآن نطق خلفا، فأتى بباقعة الدهر، وأعجوبة الزمان، على منوال عادته، فقال ممتطيا صهوة الغرور: يمكن التنازل عن حقيقة الأمر والنهي إذا اصطدم مع أفكار ومبادئ "الآخر" والالتقاء في نقطة ترضي الطرفين.

و"الآخر" كلمة ملغومة مجملة قد يراد بها الموافق، وقد يراد بها المخالف، وقد يكون مسلما، وقد يكون كافرا، وهما أنواع ولكل حكم.

وهذا الأمر خطير، وتعاظم وطغيان وجرأة وعدم اكتراث وحقيقته نقض لمفهوم الاستقامة التي أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا". هود 112

قال سفيان: استقم على القرآن.

وقال ابن زيد: الطغيان خلاف الله وركوب معصيته ذلك الطغيان. ابن جرير 128/7

قال الشوكاني في فتح القدير(764/2): أي كما أمرك الله، فيدخل في ذلك جميع ما أمره به، وجميع ما نهاه عنه لأنه قد أمره بتجنب ما نهاه عنه كما أمره بفعل ما تعبده بفعله وأمته أسوته في ذلك ولهذا قال: "بومن تاب معك " أي رجع من الكفر إلى الإسلام وشاركك في الإيمان.

قال البيضاوي (266/1): أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد والأعمال من تبليغ الوحي وبيان شرائع ما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوّت للحقوق ونحوها اهـ. فظهر أن مجاوزة الحد إفراطا أو تفريطا يعد انحرافا يخالف معنى الاستقامة، والثبات عليها هي محض العدل.

قال عمر رضي الله عنه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب. تفسير البغوي (203/1)

وقال عثمان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

قلت: فتركك مابه قوام دينك، ورضى ربك يناقض الإخلاص.

وروى أبو الشيخ عن العلاء بن عبد الله بن بدر في قوله : "ولا تطغوا " قال : لم يرد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنى الذين يجيئون من بعدهم.

وقد حذر الله سبحانه من ذلك فقال:"ولا تركنوا إلى الذين ظلموا " قال ابن عباس: لا تدهنوا، وقال :لا تميلوا، والركون : هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية :لا ترضوا بأعمالهم.

وقال صاحب التحرير والتنوير(2148/1): فيه الحض على الدوام على التمسك بالإسلام على وجه قويم، وعبر عن ذلك بالاستقامة لإفادة الدوام على العمل بتعاليم الإسلام دواما جماعه الاستقامة عليه والحذر من تغييره.

قلت: وفي معناه التنازل عن بعضه.

فهذه الآية جمعت أصول الصلاح الديني وفروعه، ومثلها قول الله تعالى" ولذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم" الشورى 15

قال ابن جرير يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم ووصى به نوحا وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله واستقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك ربك، بالاستقامة.(137/11)

وقال : "ولا تتبع أهواءهم " يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم فتشك فيه كالذي شكوا فيه.

قال القرطبي: أي فتبينت شكهم فادع إلى الله أي إلى ذلك الدين الذي شرعه الله للأنبياء، ووصاهم به. وقال : ولا تنظر إلى خلاف من خالفك. التفسير (14/16)

ومثل الآية ما رواه سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل أحدا غيرك؟ قال : "قل آمنت بالله، ثم استقم" رواه مسلم

أي أن استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم، والاستمرار عليه، وأن لا يأخذ جهة اليمين والشمال.

قال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا يمنة ولا يسرة. تهذيب المدارج (529/2)

وقال ابن القيم: فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

قلت: وهذه كلمة نفيسة غالية، فلا تنازل بدعوى التصادم، ولا التقاء بدعوى التلاحم لأنه جمع بين الحق والباطل، والصحيح والمبهرج، وكما قال ربنا سبحانه:"لنا أعمالنا ولكم أعمالكم".

وقال بعض السلف: فإن الشيطان قصده أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم، ولا يبالي إلى أي الشقين صاروا. ولله در من قال : أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة.

قرآن وسنة

درواش نور الدين

توحيد الله أسمى الغايات

تباينت آراء كثير من الدعاة، واختلفت وجهات نظرهم فيما يجب الاهتمام به أكثر في الدعوة إلى الله، وذلك في إطار ما أصبح يعرف في الآونة الأخيرة بفقه الأولويات والحق أن هذه قضية أكبر من أن يتنازع حولها، وأعظم من أن يختلف فيها فقد بينها الشارع الحكيم ولم يدعها لأذواقنا، وعقولنا واجتهاداتنا، فجعل التوحيد أولى الأولويات، وأهم المهمات، وهذا هو الحق والصواب بلا شك ولا ارتياب، وإلى شيء من التفصيل في هذا الباب:

1- إن التوحيد أساس دعوة كل الرسل والأنبياء، عليهم السلام قال الله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الانبياء 25، و قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل 36، فما بعث الله نبيا و لا رسولا إلا قال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾الأعراف59 كما كان التوحيد دائما محور الصراع و قطب رحى النزاع بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم من كل الأمم.

2- لقد كان جوهر دعوة الإسلام في سيرة النبي عليه الصلاة السلام، هو توحيد الملك العلام، ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه و سلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله...".

هذا مع أن أهل الجاهلية فشت فيهم معاص كبرى وموبقات عظمى كقتل النفس، ووأد البنات الزنى والربا فلم يكن الشرك هو الذنب الوحيد فيهم وإنما كان أعظم ذنوبهم.

3- إن قبول الأعمال كلها مترتب على التوحيد لقوله عز وجل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾الزمر65، وترك التوحيد ذنب لا يغفره الله عز وجل لقوله:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾النساء48، بل إن تارك التوحيد توعده الله عز وجل بقوله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾المائدة 72.

4- إن المتأمل لكتاب الله عز وجل يجد أنه "إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد". شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز

5- لقد بات لزاما على الأمة الإسلامية التي تسلط عليها أعداؤها، فاحتلوا أرضها وانتهكوا حرماتها، واستباحوا أعراضها، أن تقبل على التوحيد إذ به نصرها وفيه سيادتها قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾النور55

6- لعل نظرة فاحصة لأحوال المسلمين تبيّن مدى انحراف غالبهم عن الفهم الصحيح لمفهوم كلمة التوحيد، إذ مع كونهم يحتفلون بهذه الكلمة ويعظمونها، نجد صنيع أكثرهم يتنافى وما تقتضيه هذه الكلمة فمن داع لغير الله أو مستغيث به، ومن متعلق بالقبور وطائف بها أو مقدم لها الذبائح و النذور، ومن معلق لتميمة لجلب نفع أو دفع ضر، ومن آت للكهنة والعرافين ومصدق لهم... والله المستعان.

و مع هذا كله بل وغيره، نجد من يرفعون أصواتهم منكرين على من جلس يعلم الأمة التوحيد ويزعمون إما بالجهل أو التجاهل أن الشرك قد انقضى فليت شعري عن أي شرك يتحدثون وأي انقضاء يقصدون ...

فمما سبق يعلم أن أكبر دليل على انحراف دعوة أو فساد منهج هو عدم اهتمام أهله بالتوحيد أساس الدين، وأعظم أوامره وخلاصة دعوة المرسلين، فكل دعوة لا ترفع بالتوحيد رأسا فضلا عن أن تحتقره وتزدريه وتعتبره من القشور الجزئيات والفتات والكمالات فهي دعوة باطلة لا ينبغي سلوكها أو لا يجوز انتهاجها، أيا كان رموزها ومهما علا قادتها أو كثرت "منجزاتها".

فحقيق إذن بكل الدعاة الصادقين أن يجعلوا النصيب الأكبر والحظ الأوفر من اهتمامهم لدعوة الأمة إلى توحيد ربها ونبذ الشرك بكل مظاهره وصوره فهذا هو السبيل القويم والصراط المستقيم المؤدي إلى مرضات الله عز وجل و الغلبة على أعدائه ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾الروم6.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحكام يجهلها كثير من الناس .. اللقطة

كثير هم أولئك الذين يجهلون أحكام ومسائل اللقطة، بل لا يعرفون حتى هذه اللفظة، وأفضلهم من يحملها على اللقيط.

فهذا بيان أردت به تقريب هذه السنة النبوية لعموم المسلمين، وإبراء الذمة، والله تعالى من وراء القصد.

قلت: النظر في اللقطة يحتاج إلى تفصيل لا يسعه هذا المقام، فالمقصود والمطلوب بيان ما يتعلق به الواجب في حق المسلم من حكم وعمل.

فالكلام عن جملتين. الجملة الأولى: في الأركان. والجملة الثانية: في الأحكام.

فأما الأولى: فأركان اللقطة ثلاثة: لقطة، والتقاط، وملتقط. والنظر سيكون في الركنين الأولين.

1 - اللقطة.

اللام والقاف والطاء أصل صحيح يدل على أخذ شيء من الأرض قد رأيته بغتة ولم ترده، وقد يكون عن إرادة وقصد أيضا. منه لقط الحصى وما أشبهه.

واللقطة: من لقط يلقط لقطا والتقطه أخذه من الأرض.

وفي الاصطلاح:

قال ابن الأثير في النهاية (264/4): كل مال معصوم معرض للضياع لا يعرف مالكه.

وقال ابن العربي المالكي في العارضة(110/6): الشيء الذي يجده المرء في الأرض لا صاحب له ولا يد عليه.

وتطلق اللقطة على غير الحيوان وهذا الأخير يقال له ضالة. وفيه الخلاف.

تنقسم اللقطة باعتبار القيمة إلى قسمين:

أ - لقطة معتبرة

ب - لقطة يسيرة أو حقيرة

فأما الأخيرة فهي التي لا تتعلق بها النفوس، من مأكول أو شيء حقير.

لحديث أنس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق قال: "لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها". رواه البخاري

ولحديث علي أنه وجد دينارا فأتى به فاطمة فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هو رزق الله عز وجل". فأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة، فلما كان بعد ذلك أتته امرأة تنشد الدينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي أد الدينار". صحيح أبي داود (137/2، 138).

وأما اللقطة المعتبرة فهي اللقطة التي تتعلق بها النفوس أو لقطة ذي بال أو خطر.

فعن سويد بن غفلة قال: لقيت أبي بن كعب فقال: أصبت صرة فيها مائة دينار، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "عرفها حولا"، فعرفتها حولا فلم أجد من يعرفها.. فقال: "احفظ وعاءها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلا فاستمتع بها". رواه البخاري ومسلم

والشاهد منه قوله "مائة دينار" فهذا مال معتبر.

فإن قيل: ما أدنى المعتبر؟. قلت: العبرة بالعرف، وذلك يختلف زمانا ومكانا.

واللقطة أنواع، وذلك باعتبار الجنس أو المكان أو الزمان، وفيه تفصيل ليس هذا محل النظر فيه.

2 - الالتقاط.

هو فعل اللاقط الذي يأخذ ما وجد على الأرض.

فهل يكره التقاط اللقطة أم الأفضل التقاطها؟

قلت: الجواب من وجوه.

الوجه الأول: لو كان ترك اللقطة أفضل لأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لما سئل عن ضالة الإبل، "ما لك ولها؟".

الوجه الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أبي بن كعب أخذه الصرة فدل على أنه جائز شرعا.

الوجه الثالث: الواجب على المسلم أن يحفظ مال أخيه المسلم من الضياع، وهو قول عامة أهل العلم.

وقال البخاري: باب: هل يأخذ اللقطة ولا يدعها تضيع حتى لا يأخذها من لا يستحق؟

قال الحافظ: المعنى لا يدعها فتضيع ولا يدعها حتى يأخذها من لا يستحق، وأشار بهذه الترجمة على من كره اللقط. الفتح (379/5)

الوجه الرابع: لو أن أهل الأمانات اتفقوا على ترك اللقطة لم ترجع لقطة، ولا ضالة إلى صاحبها أبدا، لأن غير أهل الأمانات لا يعرفونها بل يستحلونها ويأكلونها.

ولأهل العلم تفاصيل في هذا الباب، قال اللخمي: وهو واجب، ومستحب، ومحرم، ومكروه، بحسب حال الملتقط و الوقت وأهله ومقدار اللقطة.

قال القرافي: ولم أر أحدا فصل وقسم أخذ اللقطة إلى الأحكام الخمسة إلا أصحابنا، بل كلهم أطلقوا.

وأما



الجملة الثانية:

وهي أحكام اللقطة، فسنقتصر على ما يلزم المسلم إذا وجد شيئا معتبرا، وأما اليسير أو الحقير فله أن يتملكه، وفيه بعض التفصيل.

1 - من وجد لقطة وجب عليه أن يعرف جنسها وعددها ووزنها.

دليله حديث زيد بن خالد قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن اللقطة فقال: "اعرف عفاصها و وكاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها".

ظاهر الأمر في قوله "اعرف" وجوب التعرف ولا صارف له، وفائدته قوية.

العفاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلدا كان أو غيره.

الوكاء: الخيط الذي يشد به الصرة وغيرها.

قال الحافظ: والغرض معرفة الآلات التي تحفظ النفقة. الفتح (5/366)

فإن قيل: فما فائدة تعرفها؟

قلت: لذلك فوائد جمة.

منها: معرفة صدق المدعي من كذبه.

ومنها: كي لا تختلط بماله اختلاطا لا يمكن معه التمييز إذا جاء مالكها.

ومنها: أن يحفظ ذلك فإذا جاء صاحبها ووصفها دفعها إليه.

2 - ثم يشهد ذا عدل أو ذوي عدل.

لحديث عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من وجد لقطة فليشهد ذوي عدل، وليحفظ عفاصها ووكاءها، ثم لا يكتم، ولا يغيب، فإن جاء ربها فهو أحق بها، وإلا فهو مال الله يؤتيه من يشاء". رواه أبو داود بسند صحيح

قلت: أفاد الحديث زيادة وجوب الإشهاد بعدلين على التقاطها.

فيجب الإشهاد على اللقطة وعلى أوصافها. انظر السبل (186/3)

فإن قيل فما فائدة الإشهاد؟

قلت: قال ابن العربي المالكي في "عارضة (110/6): لئلا تضيع على صاحبها عند الورثة، أو لئلا يحمله الشيطان على إنكارها، فإذا أشهد قطع الوجهين.

فإن قيل أيضا هل هناك كيفية في الإشهاد أم لا؟

قلت: ظاهر الحديث الإشهاد في الصفات، وقيل: يشهد على أصلها دون صفاتها، والأول أظهر وأصح.

انظر المجموع (144/16)

3 - ثم يحفظها في حرز مثله، لأنها أمانة فيجب حفظها كالوديعة.

لحديث أبي السابق وفيه: ".. احفظ وعاءها وعددها ووكاءها.." رواه البخاري ومسلم

قال ابن عبد البر في التمهيد(448/12): كأنه قال: احفظها على صاحبها، واعرف من العلامات ما تستحق به إذا طلبت. انظر القبس(944/3)

4 - ولا يكتم ولا يغيب.

لحديث عياض السابق وفيه: "ثم لا يكتم، ولا يغيب.."

قوله "لا يكتم": أي لا يخفيه.

وقوله: "لا يغيب": أي لا يجعله غائبا بأن يرسله إلى مكان آخر.

5 - بل يعرفها حولا قمريا كاملا.

فعن زيد بن خالد الجهني أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن اللقطة. فقال: "اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها" رواه البخاري ومسلم

الكلام عن التعريف في ستة مواضع، أذكر منها ما يفي بالغرض.

الأول: في حكم التعريف، فظاهر الأمر يفيد الوجوب ولا صارف له، ويزيده دلالة ما رواه زيد بن خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من آوى ضالة فهو ضال، ما لم يعرفها" رواه مسلم

فوصفه بالضلال إذا لم يعرف بها.

الثاني: في زمانه، فالأليق أن يكون في النهار دون الليل لأن النهار يجمع الناس.

الثالث: في مكانه، وذلك في المكان الذي التقطت منه، وهو الأولى لأن من أضاع شيئا طلبه في الموضع الذي ضاع فيه. أو في مظان اجتماع الناس من الأسواق، وأبواب المساجد، والمجامع الحافلة.

وأما أبواب المساجد، فقد ثبت أمر عمر بذلك كما في الموطأ(660) بسند صحيح

الرابع: في كيفية التعريف، وذلك بإنشادها بعبارات لا يذكر فيها شيئا من الصفات كي لا يدعيها من لا يعلمها. كأن يقول: من ضاع له مال فليخبر بعلامته، أو نحو ذلك.

6 - فإن جاء ربها فهو أحق بها، وإلا فهو مال الله يؤتيه من يشاء.

أحاديث الباب كثيرة، منها حديث زيد بن خالد السابق وفيه "فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها".

قال ابن عبد البر: وأجمعوا على أن صاحبها إذا جاء فهو أحق بها من ملتقطها إذا ثبت له أنه صاحبها. فتح البر(448/12)

قلت: الحديث صريح في جواز التملك بعد سنة، فله أن يلحق هذه اللقطة بماله وينفقها على نفسه. وكما قال ابن العربي المالكي: ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر. العارضة(111/6)

فإن قيل بم ترد اللقطة إلى صاحبها؟

قلت: من أحال على الوصف الظاهري دفعت إليه لا سيما وليس لأحد عليه يد تدعيه، ومن أحال على الوصف الباطني كالعدد فهو الغاية في البيان فوجب الدفع إليه من طريق الأولى. وهنا مباحث مهمة خاصة في الفرق بين الوصف والبينة، أسأل الله تعالى أن ييسر إخراج الأصل، وأن يفي هذا المختصر بإحياء هذه السنة، والله أجل وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

العدد 05، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

العدد 05، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

لكننا لما رأينا أن "الأحداث" قد عملت على نشر ما سبق أن ألفه أعداء الصحابة والإسلام من الصليبيين الأوربيين والمستشرقين الحاقدين والمنصرين المتعصبين وذلك خلال حملتهم لإسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية، ارتأينا أن نوضح بهذه المناسبة، أن خبث العلمانيين المغاربة وتآمرهم على الإسلام وأهله، إنما هم فيه مقلدون للعرب المشارقة وخصوصا النصارى منهم، الذين هم بدورهم مقلدون للملحدين أمثال "ماركس" و"لنين" في استغلالهم لأحداث تاريخ الإسلام وتراثه من أجل ترسيخ العلمانية في البلاد الإسلامية.

ومن يقرأ كلام علمانيي "الأحداث" وتجاهلهم لكلام أئمة المؤرخين الموثوقين من جهة، ونشرهم لكلام الحاقدين الجامعين بين خبث الروافض وحقد العلمانية أمثال "السيد القمني" الذي يتقمم معلوماته من عفَنِ كتبِ إخوانه مؤرخي الرافضة، يدرك أن ما سطّرناه أعلاه ليس افتراء أو مبالغة.

بقلم: عبدالله الشرقي

العلمانيون بالمغرب يسبّون عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد استفحل أمر العلمانيين بالبلاد حتى عاثوا فيها بالفساد، فمن ساب للنبي صلى الله عليه وسلم على صفحات الجرائد، ومن مصرح بالارتداد ومتبجح بترك الصلاة على القناة الثانية على الهواء، ومن ساب للصحابة رضوان الله عليهم، طاعن في عدالتهم، ومن معتبر للإسلام بالمغرب استعمارا لا بد من طرده، والأسف كل الأسف أن ترى المجلات والجرائد تحاكم للتعريض بنائبة برلمانية، في حين لا ترى من يتحرك من المسؤولين لحماية جناب الدين، والذب عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وإن هذا العداء للإسلام هو عصب العلمانية وديدن العلمانيين، تلقفوه عن كل رافضي خبيث أو مستشرق حاقد على الإسلام وأهله.

فكل ما ينشره مجموعة من العلمانيين المتعصبين في جريدة الأحداث من سب للعلماء واستهزاء بأحكام الشريعة ونشر للشبه حول الإسلام وقذف للصحابة إنما هو اجترار لقيء قديم قد لفظه المستشرقون والروافض وجملة من أعداء الإسلام منذ سطعت شمسه فأعمت بصيرة الحاقدين الخبثاء ممن لم يستسغ سقوط دولته بسيف الإسلام وعدله، من الفرس عباد النار والروم عباد الصليب.

فجاء عباد صنم العلمانية اليوم ليقفوا في معسكر أولئك ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك باسم النقد والموضوعية، متسترين وراء الرد على جماعة العدل والإحسان، فيكيلون التهم لمعالم الدين من خلافة وصحابة، باسم حرية بالتعبير والتفكير التي ميّعت كل شيء، ولم تترك للعلم قيمة ولا للدين حرمة.

ولقد كان لذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه قسط وافر من سباب علمانيي جريدة "الأحداث" وذلك عبر حلقات من مقالات متعددة تحت عنوان "معالم السلطان في دولة العدل والإحسان" حشاها مسوّدُها بالحقد والكراهية والعداء، والكذب والزور والبهتان للإسلام وأهله وحضارته وتاريخه.

وعثمان هو من هو في الفضل والمكانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو ابن عمته صفية رضي الله عنها، وزوج ابنتيه السيدتين رقيّة وأمّ كلثوم رضي الله عنهما وثالث الخلفاء الراشدين الذين أمرنا بإتباع هديهم، وهو من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهز جيش العسرة: "ما ضر ابن صفية ما فعل بعد اليوم"، فرضي الله عن عثمان وأرضاه.

لكننا لما رأينا أن "الأحداث" قد عملت على تكرار نشر ما سبق أن ألفه أعداء الصحابة والإسلام من الصليبيين الأوربيين والمستشرقين الحاقدين والمنصرين المتعصبين وذلك خلال حملتهم لإسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية، ارتأينا أن نوضح بهذه المناسبة، أن خبث العلمانيين المغاربة وتآمرهم على الإسلام وأهله، إنما هم فيه مقلدون للعرب المشارقة وخصوصا النصارى منهم، الذين هم بدورهم مقلدون للملحدين أمثال ماركس ولنين في استغلالهم لأحداث تاريخ الإسلام وتراثه من أجل ترسيخ العلمانية في البلاد الإسلامية.

ولا يقتصر مكر العلمانيين وخبثهم على التاريخ فقط بل تعدوه إلى كتاب الله سبحانه، وذلك محاولة منهم "وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحي والنبوة والغيب والعقيدة في



المعنى القرآني فيصير القرآن ماركسياً ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية، فيغيروا بذلك المفاهيم الرئيسة للقرآن، ويلغوا المعاني الحقيقية للسور والآيات، ويطمسوا الحقائق الدينية التي رسخها القرآن وبينتها السنة.

وهم لا يفعلون في معركتهم مع الإسلام وتاريخه وعلمائه المحدثين والقدامى إلا ما يفعله الماركسيون العرب إحياء للموقف اللينيني الذي وظف التراث في الصراع الأيديولوجي، فلينين كما يقول العلماني جورج طرابيشي متناولا بالنقد منهجه في استخدام التراث وهو نصراني ثم ماركسي ثم أخيراً فرويدي فاحش، يقول: «لينين هو أول من دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبتر من خلال مناقشاته في مطلع القرن العشرين مع الشيوعيين الروس ... فلينين.. لم يكن يهمه من التراث حقيقته التاريخية، بل قابليته للتوظيف في الصراع الأيديولوجي».

إنه منهج الإسقاط الأيديولوجي، الذي يستخدم القرآن للأيديولوجية المسبقة!

ويقول طرابيشي أيضا: «منهج الإسقاط الأيديولوجي يتنطع أكثر من الفهم أو عدم الفهم، فهو ينصب نفسه جراحاً يريد إخضاع التراث لعملية جراحية ليستأصل منه ما يعتقد أنه أورامه الخبيثة، وتراءى لنا، من وجهة نظر تاريخية، أن قصب السبق في مداورة المنهج البضعي أو البتري يعود إلى المثقفين والباحثين الملتزمين بالرؤية الماركسية للعالم».

ومن أدلة إخلاص العلمانيين لهذا المنهج اللينيني في تناول الأحداث التاريخية هو اعتبارهم للفرق التي أجمع المسلمون على ضلالها بأنها تمثل المعارضة للحكم السياسي في زمانها وتعبر عن مطالب الفئة المحرومة والمضطهدة في المجتمع، كالخوارج والمعتزلة والشيعة الراوفض والحشاشين.

ومن يقرأ كلام علمانيي "الأحداث" وتجاهلهم لكلام أئمة المؤرخين الموثوقين من جهة، ونشرهم لكلام الحاقدين الجامعين بين خبث الروافض وحقد العلمانية أمثال "السيد القمني" الذي يتقمم معلوماته من عفَنِ كتبِ إخوانه مؤرخي الرافضة، يدرك أن ما سطّرناه أعلاه ليس افتراء أو مبالغة.

ودفاعا عن عثمان رضي الله عنه وبيانا للحقيقة التي أغفلها العلمانيون لخدمة مشاريعهم، تنشر تفنيد العلماء للمآخذ التي انتقدت على هذا الصحابي الجليل، وذلك قياما بحقه علينا، وحتى لا يؤاخذنا الله سبحانه بما يفعله السفهاء منا.

المآخذ الأول: في قولهم إنه ولى أقاربه

من أقارب عثمان الذين ولاهم رضي الله عنه؟

أقارب عثمان الذين ولاهم رضي الله تبارك وتعالى عنه أوّلهم معاوية، الثاني عبد الله بن سعد بن أبي السرح، الثالث الوليد بن عقبة، الرابع سعيد بن العاص، الخامس عبد الله بن عامر، هؤلاء خمسة ولاهم عثمان وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعن عليه، فلننظر أولا من هم ولاة عثمان رضي الله عنه؟

هم: أبو موسى الأشعري، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزني، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمان بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، وعتيبة بن النهاس، ومالك بن حبيب، والنسير العجلي، والسائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وخنيس بن خبيش.

هؤلاء هم ولاة عثمان رضي الله عنه فلو أخذنا إحصائية لوجدنا أن عدد الولاة ثمانية عشر والٍ، ألا يصح أن يكون خمسة من بني أمية يستحقون الولاية وبخاصة إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم.

كما أن هؤلاء الولاة لم يتقلدوا كلهم الولاية في وقت واحد، بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد بن عقبة ثم عزله فولى مكانه سعيد بن العاص فلم يكونوا خمسة في وقت واحد، وأيضا لم يتوف عثمان إلا وقد عزل أيضا سعيد بن العاص فعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم: معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح وعبد الله بن

←

عامر بن كريز قط.

ملاحظة: عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولكنه عزلهما من الكوفة!! الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوال قط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" لا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من بني أمية لأنهم كانوا كثيرين وفيهم شرف وسُؤدد"... (ولكم في رسول الله أسوة حسنة).

ثم نقول إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولى أقاربه (عبد الله بن عباس وعبيد الله بن العباس وقثم بن العباس وتمام بن العباس وربيبه محمد بن أبي بكر) ولم ينقم عليه أحد ولم ننقم عليه نحن أيضا، لأن هذا الأمر – وهو تولية عثمان لأقاربه– إنما ينقمه على عثمان ثلاثة: إما سني، وإما شيعي، وإما علماني مقلد للشيعي.

أما الشيعي وذنبه – من بني علمان– فيرد عليهما بأن علي بن أبي طالب ولى أقاربه أيضا، فالأمر سواء فإذا كانت تولية عثمان لأقاربه مطعنا عليه فكذلك تولية علي لأقاربه لا بد أن تكون مطعنا عليه رضي الله عنه وإن لم تكن مطعنا على علي فليست بمطعن على عثمان بل إن الذين ولاهم عثمان أفضل من الذين ولاهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم باستثناء عبد الله بن عباس.

وأما إذا كان الذي ينكر على عثمان رضي الله عنه سُنّيا فنقول له: إنك بين أمرين اثنين:

أحدهما، أن عثمان رضي الله عنه ولاهم محاباة لهم ولم يكونوا أهلا للولاية.

وثانيها، أن تقول: إن عثمان كان يظن أنهم يستحقون الولاية ولذلك ولاهم والأصل إحسان الظن في أمثال عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ثم بعد ذلك كله ننظر في سير أولئك الولاة الذين ولاهم عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

المأخذ الثاني : قالوا، نفى أبا ذر إلى الربذة.

روى "سيف بن عمر" ولا بد من النظر في حال سيف هذا:

(نقل ابن حجر أقوال أهل الفن فيه فقال: قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي، والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الأثبات، قال: وقالوا: إنه كان يضع الحديث، قلت ـ ابن حجر ـ: بقية كلام ابن حبّان اتهم بالزندقة وقال البرقاني عن الدارقطني متروك، وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط)، هذا حال سيف الراوي، وهذا يغنينا عن النظر في الرواة الذين يأخذ عنهم."، قال إن معاوية وقع بينه وبين أبي ذر كلام فأرسل إلى عثمان أن "أبا ذر" قد أفسد الناس علينا فقال له عثمان أرسله إلي، فأرسله معاوية إلى عثمان فأنبه عثمان ثم خرج إلى الربذة– ومعلوم مذهب أبو ذر في مسألة الذهب والفضة، فهو لا يرى أن يبقى عند الإنسان فوق حاجته منهما فمن فعل دخل في حكم الاكتناز، وخالف بذلك جمهور الصحابة–.

هذه رواية هذا الواهي ومن أخذ عنه من الشيعة وأذنابهم من "بني علمان" ولكن نحن عندنا روايات صحيحة في هذه المسألة يتجاهلها العلمانيون لأنها لا تخدم مصلحتهم ومذهبهم، أخرج البخاري في صحيحه: "عن زيد بن وهب الجهني قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟

قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في: «الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله». قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب.

فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريبا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت". صحيح البخاري رقم 1406.

فهذا أبو ذر رضي الله عنه روى سبب تواجده بالربذة بنفسه، فما طرده عثمان أو أهانه معاوية رضي الله عنهما، وكذلك أورد ابن سعد بسند جيد أنه لما خرج أبو ذر إلى الربذة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها" طبقات ابن سعد 2264 فهو أمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي صحيح البخاري كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده" رضي الله عنه وأرضاه.

المأخذ الثالث ، وأما إعطاؤه مروان خمس أفريقية

فلم يصح على أنه فعل ذلك، والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور، ثم عاد فاسترده منه، كما جاء في حوادث سنة 27هـ من تاريخ الطبري أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن بي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: "إن فتح الله عليك غداً إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين من الغنيمة نفلاً" فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض أفريقية وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله

فانظر أيها القارئ الكريم كيف يترك علمانيو المغرب ما صح من هذه الأخبار رغم توافر مراجعها، إمعانا منهم في حرب كل ما يمت للإسلام بصلة، لأن بقاء التاريخ والدين نقيا صافيا يبقي الناس متمسكين بهويتهم ودينهم مما يحول دون انتشار العلمانية بينهم.

عليهم وأخذ الخمس وبعث أربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصري، فشكا وفد ممن معه ما أخذه عبد الله بن سعد، فقال لهم عثمان: أنا أمرت له بذلك، فإن سخطتم فهو رد، قالوا: إنا نسخطه، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية وقد ثبت في السنة تنفيل أهل البأس في الجهاد، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في مكافأة سلمة بن الأكوع في إغارة عبد الرحمن الفزاري على سرح النبي صلى الله عليه وسلم (أنظر المنتقى للمجد ابن تيمية 4314 وفي غزوات أخرى 4319، 4321).

وقال القاضي أبي بكر بن العربي المالكي رحمه الله :" قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده، وإن أعطاه لواحد جائز، وقد بينا ذلك في مواضعه"

المأخذ الرابع : قالوا ضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه و ضرب عمار حتى فتق أمعاءه.

قال ابن العربي المالكي رحمه الله: "وأما ضربه لابن مسعود فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً".

المأخذ الخامس : قالوا أحرق المصاحف.

وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه وما أحرق المصاحف إلا لكي يجتمع الناس على مصحف واحد يجمع كل الروايات الثابتة ولم شعث الأمة التي كادت أن توقد بينها حرب ضروس بسبب اختلاف المصاحف فرحم الله عثمان الذي كف الدماء وجمع الشتات، كما أن هذه المنقبة يكاد يجمع عليها المسلمون لكن هؤلاء الغوغاء من الشيعة وأذنابهم من بني علمان جعلوها من مساوئه ومثالبه رضي الله عنه وأرضاه ولقد قيل قديما:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا

المأخذ السادس : قالوا استزاد في الحمى.

وأما الحمى، فكان قديماً، فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية وإذا جاز أصله للحاجة جازت الزيادة لزيادة الحاجة.

المأخذ السابع : قالوا أتم في السفر.

وأما ترك القصر فاجتهاد، إذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة، فتركها مصلحة خوف الذريعة مع أن جماعة من العلماء: قالوا إن المسافر مخيّر بين القصر والإتمام، واختلف في ذلك الصحابة، ينظر (التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان) لمحمد بن يحيى المالكي المعروف بابن بكر (674-741).

المأخذ الثامن والتاسع والعاشر : لم يحضر بدرا ، وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان .

عن عبد الله بن عمر قال :"جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟

فقالوا: هؤلاء قريش.

قال: فمن الشيخ فيهم؟

قالوا: عبد الله بن عمر.

قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟

قال: نعم.

فقال: تعلم أنه تغيّب عن بدر ولم يشهدها؟

قال: نعم.

قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟

قال : نعم.

قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبيّن لك، أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدر وسهمه). وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: "هذه يد عثمان". فضرب بها على يده، فقال :"هذه لعثمان" فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك".رواه البخاري في صحيحه برقم 3698.

المأخذ الحادي عشر ، قالوا، زاد الأذان الثاني يوم الجمعة.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" وهذه الزيادة من سنة الخلفاء الراشدين ولا شك أن عثمان منهم رغم أنف كل شيعي حاقد أو علماني مارق، وقد رأى المصلحة في ذلك لتنبيه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة ولم يعرف له مخالف بل وافقه كل الصحابة كما استمر العمل على ذلك إلى يومنا هذا فهي سنة بإجماع المسلمين.

فانظر أيها القارئ الكريم كيف يترك علمانيو المغرب ما صح من هذه الأخبار رغم توافر مراجعها، إمعانا منهم في حرب كل ما يمت للإسلام بصلة، لأن بقاء التاريخ والدين نقيا صافيا يبقي الناس متمسكين بهويتهم ودينهم مما يحول دون انتشار العلمانية بينهم.

العدد 05 ، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

سأل الرشيد الإمام مالكاً في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أن فقهاء العراق أفتوه بجلده، فغضب مالك، وقال: (يا أمير المؤمنين، ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها، من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد) الشرح الصغير على أقرب المسالك.

(أيشتم رباً عبدناه، ولا ننتصر له؟ إنا إذاً لعبيد سوء وما نحن له بعابدين) "ابن حبيب المالكي" ("الشفا" للقاضي عياض المالكي)

العلمانية والحداثة في مواجهة الله سبحانه

نزار قباني واستهزاؤه بالله سبحانه نموذجا

يعتبر نزار قباني شاعر الحداثة بامتياز، وممثل العلمانيين العرب في محاربة القيم والمبادئ، كلماته معاول هدم تخرب صروح العفة والحياء، وتقوّض كل الشيم والأخلاق، وتجرئ الشباب على انتهاك حرمات الله، كان شعره ولا يزال سفير الزنا، وبريد الفجور بين المراهقين والمراهقات، تخصص في تخريب ثقافة الأمة، وأمضى من أجل ذلك 75 عاماً من حياته يتنقل بين الكأس والنهد والحلمات، فهو الذي كان يلقب عند محبيه بشاعر (النهدين والحلمات)، وليته وقف عند ذلك لكان أمره إلى الله، إن شاء غفر له ابتداءً وإن شاء عذبه، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، هذا إن كان مسلماً ولم يكن نصرانياً، ولكن نزار تجاوز الحد وركب الصعب، ولم يهدأ له بال ويغمض له جفن إلا بالاستهزاء من صاحب الفضل والكرم والجود، رب العزة والجبروت، ومالك الدنيا والآخرة القاهر المعبود.

إنّ نزار قباني ما من ديوان له إلاّ وقد ذكر فيه اسم الله عدة مرات على وجه السخرية والتنقص والاحتقار، فلماذا هذا التمرد على الله سبحانه؟!! ولماذا كل هذا في حق الله تعالى؟!!

إن نزار قباني يا أيها القارئ الكريم، له دواوين قد مُلئتْ بالكفر الصريح والردة الواضحة، التي إن لم تكن كفراً بواحاً فليس هناك كفر على وجه الأرض.

ونزار قباني هو أحد أولئك الوكلاء شاء أم أبى، وكلامه عن رب العزة إنما يلخص للقارئ الكريم مبلغ ما وصل إليه مشروع الحداثة العربية في محاربة الإسلام ويظهر مدى تأثر منظريها بالتجارب اليسارية الشيوعية في الأدب الغربي، خاصة التجربة الروسية، التي غالبا ما حاولت إثبات أن وجود الله سبحانه وتعالى مجرد خرافة.

فهذه هي الحداثة التي يدعونا إليها العلمانيون في الغرب والتي يتبعون فيها سنن أرباب الحداثة الأوربية، وحتى يستبين القارئ الكريم سبيلهم نورد مكرهين كلام الشعراء الأوربيين شيوخ شعراء الحداثة العرب، وناقل الكفر ليس بكافر كما يقول علماؤنا:

يقول الملحد "أرتو":

- هل الله كائن ؟

إن كان فخراء، و إن ليس، فليس "

يقول "كوتريامون":

- . . . ذات يوم،

إذن،

وقد تعبت من أن أتعقب بقدمي درب الرحلة الأرضية الوعر،

و أن أمضي و أنا كرجل سكران،

عبر دواميس الحياة المظلمة،

رفعت ببطء عيني السوداوين،

وقد أحدقت بهما دائرة كبيرة مزرقة،

نحو تجويف القبة الزرقاء، وتجرأت على أن أخرق،

أنا الشاب اليافع،

أسرار السماء حين لم أعثر على ما كنت أبحث عنه،

رفعت جفني المرتاع إلى أعلى فأعلى إلى أن لمحت عرشا،

مكونا من غائط بشري وذهب، يتربع عليه،

بكبرياء أبله،

وجسده مغطى بكفن مصنوع من شراشف مستشفى غير مغسولة،

ذاك الذي يسمي نفسه الـ الله!

كان يمسك بيده جذعا عفنا لرجل ميت،

وينقله بالتناوب،

من العينين إلى الأنف إلى الفم،

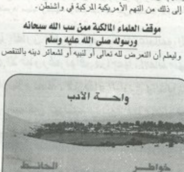
وحين يصل إلى الفم،

يمكنكم التنبؤ بما سيفعله به"

وقبل أن نستعرض بعض ما في دواوين ذلك العلماني العربي الحداثي المخذول، لنرى مبلغ ما افتراه هذا الأفّاك، ومدى ما قام به من التنقص والسخرية من الله ورسله نورد حكم علماء الأمة ومواقفهم من أمثاله حتى لا يصنفنا العلمانيون بالتكفير والإرهاب وما إلى ذلك من التهم الأمريكية المركبة في واشنطن.

موقف العلماء المالكية ممن سب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم

وليعلم أن التعرض لله تعالى أو لنبيه أو لشعائر دينه بالتنقص



والسخرية ولو حتى بالتعريض يعد قادحا وناقضا لإيمان العبد.

قال الله تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [التوبة:64-66]

قال القاضي عياض: (جميع مَنْ سَبَّ النبي صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرض به شبهة بشيء على طريق السبّ له، والإزراء عليه، أو الغض منه والعيب له، فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم الساب: يقتل) الصارم المسلول.

قال محمد بن سحنون وهو أحد الأئمة من أصحاب مالك: أجمع العلماء أن شاتم النبي عليه الصلاة والسلام المتنقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفّر) الصارم المسلول.

وقال ابن القاسم عن مالك: (من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يُستتب) قال ابن القاسم:(أو شتمه أو عابه، أو تنقصه، فإنه يقتل كالزنديق). الصارم المسلول. قال شيخ الإسلام ابن تيمية) :وهذا نصٌ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسبُّ المقصود بطريق الأولى، وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقّص رسول الله صلى الله عليه وسلم جاداً أو هازلاً فقد كفر) الصارم المسلول ص 31.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا). [الأحزاب:57-58]

وقال القاضي عياض: (وأما من تكلم من سَقْط القوْل، وسخف اللفظ، ممن لم يضبط كلامه، وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه "أو تزع من الكلام لخلوق بما لا يليق في حق خالقه، غير قاصد للكفر والاستخفاف، ولا عامد للإلحاد، فإن تكرر هذا منه وعُرف به" فهذا كفر لا مرية فيه) الشفا 299/2.

ونقل القاضي عياض عن محمد بن سحنون أنه قال: (أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر) المصدر السابق 215/2-216.

وقال الدردير المالكي: (من سب نبياً مجمعاً على نبوته، أو عرّض بسب نبي، بأن قال عند ذكره: أمّا أنا فلست بزانٍ، أو سارقٍ، فقد كفر) الشرح الصغير على أقرب المسالك 6/ 149-150 بتصرف.

نقل ابن عبد البر في التمهيد 226/4 عن إسحاق بن راهويه شيخ البخاري: (قد أجمع العلماء على أن من سَبَّ الله عز وجل، أو سبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً أنزله الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر).

وقال ابن حزم: (وأما سب الله تعالى، فما على ظهر الأرض مسلم يخالف أنه كفر مجرد) المحلى 11/ 411

وما بقاء أهل الأرض والسماء جميعاً ومن في هذا الكون كله بعد شتم الجبار سبحانه وتعالى والاستهزاء به والسخرية منه، تعالى ربنا وتقدس وتنزه عن كل نقص وثلب، (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**) [المائدة: 17].

وإلى المفترين بحرية الإبداع التي قتلت فينا كل حمية للدين، نهدي هذه الواقعة التاريخية التي توضّح بجلاء كيف كان يذب المسلمون الأوائل عن دينهم حتى وصل إلينا بكامل عافيته، كما سجلها القاضي عياض المالكي في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" حيث يقول:

..(وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بـ"ابن أخي عجب"، وكان خرج يوماً، فأخذه المطر، فقال: بدأ الخرّاز يرش جلوده. وكان بعض الفقهاء به – أي بقرطبة – أبو زيد، وعبد الأعلى بن وهب، وابن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه، وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب، وأفتى بمثله القاضي حينئذٍ موسى بن زياد، فقال ابن حبيب: "دمه في عنقي، **أيشتم رباً عبدناه ولا ننتصر له؟ إنّا إذاً لعبيد سوء، وما نحن له بعابدين**"، وبكى، ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن ابن الحكم الأموي (ت 282هـ). وكانت "عجب" عمة هذا المطلوب من حظاياه، أي من أحب الزوجات لعبد الرحمن ابن الحكم، وأُعلِمَ باختلاف الفقهاء، فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه، وأمر بقتله، فقُتِلَ وصُلِبَ بحضرة الفقيهين: ابن حبيب، وأصبغ، وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة، ووبّخ بقية الفقهاء وسبهم) الشفا 299/2.

وليكثر القارئ الكريم ومن يخاف من سطوة الجبار وانتقامه من التهليل والتسبيح والتقديس والتمجيد لرب هذا الكون وخالقه

←

قبل أن يقرأ أقوال هذا الأفاك الأثيم، حتى لا يأمر الله تعالى السماء أن تطبق على الأرض ومن فيها، فاللهم لك الثناء والحمد والكبرياء والمجد كله حتى ترضى.

أقوال نزار قباني الكفرية

من صور استهزاء نزار قباني بالله : ادعاؤه بأنّ الله تعالى قد مات وأن الأصنام والأنصاب قد عادت، فيقول :

(من أين يأتي الشعر يا قرطاجة.. والله مات وعادت الأنصاب) [الأعمال الشعرية الكاملة (637/3)]

كما يعترف نزار قباني بأن بلاده قد قتلت الله عز وجل فيقول:

(بلادي ترفض الحبّا
بلادي تقتل الرب الذي أهدى لها الخصبا
وحوّل صخرها ذهبا
وغطى أرضها عشبا..
بلادي لم يزرها الرب منذ اغتالت الربا..) (يوميات امرأة لا مبالية) [صفحة 620].

وهنا يعترف نزار قباني بأنه قد رأى الله في عمّان مذبوحاً على أيدي رجال البادية فيقول في مجموعة (لا) في (دفاتر فلسطينية) صفحة 119:

(حين رأيت الله.. في عمّان مذبوحاً..
على أيدي رجال البادية
غطيت وجهي بيدي..
وصحت : يا تاريخ !
هذي كربلاء الثانية..)

أما هنا فيذكر نزار قباني بأن الله تعالى قد مات مشنوقاً على باب المدينة، وأن الصلوات لا قيمة لها، بل الإيمان والكفر لا قيمة لهما فيقول في مجموعة (لا) أيضاً في (خطاب شخصي إلى شهر حزيران) صفحة 124:

(أطلق على الماضي الرصاص..
كن المسدس والجريمة..
من بعد موت الله، مشنوقاً، على باب المدينة.
لم تبق للصلوات قيمة..
لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة..)

ويعترف نزار قباني بأنه من ربع قرن وهو يمارس الركوع والسجود والقيام والقعود وأن الصلوات الخمس لا يقطعها !! وخطبة الجمعة لا تفوته، إلا أنه اكتشف بعد ذلك أنه كان يعيش في حظيرة من الأغنام، يعلف وينام ويبول كالأغنام، فيقول في ديوانه (الممثلون) صفحة 36-39:

الصلوات الخمس لا أقطعها
يا سادتي الكرام
وخطبة الجمعة لا تفوتني
يا سادتي الكرام
وغير ثدي زوجتي لا أعرف الحرام
أمارس الركوع والسجود
أمارس القيام والقعود
أمارس التشخيص خلف حضرة الإمام
وهكذا يا سادتي الكرام
قضيت عشرين سنة..
أعيش في حظيرة الأغنام
أعلف كالأغنام
أنام كالأغنام
أبولُ كالأغنام

وكما يصف نزار قباني (الشعب) بصفات لا تليق إلا بالله تعالى فيقول في ديوانه (لا غالب إلا الحب) صفحة 18:

أقول : لا غالب إلا الشعب
للمرة المليون
لا غالب إلا الشعب
فهو الذي يقدر الأقدار
وهو العليم، الواحد، القهار...

كما أن لنزار قصيدة بعنوان (التنصُّت على الله) ينسب فيها الولد لله ويرميه بالجهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فيقول في صفحة 170 :

ذهب الشاعر يوماً إلى الله..
ليشكو له ما يعانيه من أجهزة القمع..
نظر الله تحت كرسيه السماوي
وقال له: يا ولدي
هل أقفلت الباب جيداً ؟؟.

ومن صور استهزائه بالله وبحكمته في خلق مخلوقاته على ما يريده سبحانه قوله في ديوانه (أشهد أن لا امرأة إلا أنت) !! تحت قصيدة بعنوان (وماذا سيخسر ربي؟)!! صفحة 82 :

وماذا سيخسر ربي؟
وقد رسم الشمس تفاحة
وأجرى المياه وأرسى الجبالا..
إذا هو غير تكويننا
فأصبح عشقي أشد اعتدالا..
وأصبحت أنت أقلّ جمالا..

وهنا يصرح الملحد نزار قباني بأنه قد قرأ آيات من القرآن مكتوبة بأحرف كوفية عن الجهاد في سبيل الله، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الشريعة الحنفية، لكنه لا يبارك في داخل سريرته إلا الجهاد على نحور البغايا، وأثداء العاهرات، وبين المعاصم الطرية، فيقول في ديوانه (لا) صفحة 57:

أقرأ آيات من القرآن فوق رأسه
مكتوبةً بأحرف كوفية
عن الجهاد في سبيل الله
والرسول

ونحب بهذا الصدد أن نقرر مسألة تاريخية هامة وهي أن انتهاك جناب الدين داخل دولة الإسلام لم تكن تعرفه الأمة قبل أن تستباح أرضها من طرف ملاحدة أوربا، وتمكنهم من نشر عقائدهم الفاسدة في عقول أبناء المسلمين، باسم الحداثة والإبداع والتنوير، فأي نور يوجد في الكفر والإلحاد والزندقة.

والشريعة الحنيفة
أقول في سريرتي:
تبارك الجهاد في النحور، والأثداء
والمعاصم الطرية..

ومن أقواله التي صرح فيها بأنه قد كفر بالله العلي العظيم قوله:

(فاعذروني أيها السادة إن كنت كفرت) [المصدر السابق (277/3)]

وهنا يسأل المرتد المارق نزار قباني نفسه على وجه السخرية والاستهزاء متشككاً في ربه وخالقه وصاحب الفضل عليه سبحانه وتعالى وهل قد أصبح عز وجل زعيماً لمجموعة من اللصوص والسُّراق، كما يقول في أعماله السياسية الكاملة صفحة 98:

قلت لنفسي وأنا..
أواجه البنادق الروسية المخرطشة
واعجبي.. واعجبي..
هل أصبح الله زعيم المافيا؟؟

ومن صور استهزائه وسخريته بالجبار جل وعلا: وصفه بأن له حُجرة قمرية يدخل فيها، يقول الملحد:

(يكون الله سعيداً في حجرته القمرية)
[مجموعة الأعمال الشعرية (188/2)]

ويتمادى نزار قباني بوصف ربه وخالقه سبحانه وتعالى بكل صفات النقص والاستهزاء والعيب واصفاً إياه بأنه سبحانه: خالف كتبه السماوية، وأنه انحاز إليه بصورة مكشوفة عياذاً بالله تعالى، وزعمه أن لله بيتاً يذهب إليه، تقدس ربنا وتنزه، وأنه صديق لله، فيقول:

(حين وزع الله النساء على الرجال
وأعطاني إياك
شعرت أنه انحاز بصورة مكشوفة إليّ
وخالف كل الكتب السماوية التي ألفها
فأعطاني النبيذ وأعطاهم الحنطة
ألبسني الحرير وألبسهم القطن
أهدى إليّ الوردة وأهداهم الغصن
حين عرّفني الله عليك ذهب إلى بيته
فكرت أن أكتب له رسالة.. على ورق أزرق
وأضعها في مغلف أزرق.. وأغسلها بالدمع الأزرق أبدأها بعبارة : يا صديقي، كنت أريد أن أشكره..
لأنه اختارك لي..
فالله كما قالوا لي لا يستلم إلا رسائل الحب
ولا يجاوب إلا عليها..
حين استلمت مكافأتي، ورجعت أحملك على راحة يدي، كزهرة مانوليا..
بُستُ يد الله، وبُستُ القمر والكواكب واحداً واحداً)
[مجموعة الأعمال الشعرية](2/188)

ويمعن نزار قباني في الازدراء والاحتقار والاستهزاء من صاحب العظمة والكبرياء سبحانه وتعالى فيصفه بالبكاء، والعصبية، والإضراب عن الطعام، فيقول:

(فلا تسافري مرة أخرى ،لأن الله منذ رحلتِ دخل في نوبة بكاء عصبية وأضرب عن الطعام) ["على لسان لعوب " (448/1)]

كما يتخذ نزار قباني إلـهه هواه فيقول:

(هو الهوى.. هو الهوى..
الملك القدوس
والآخر القادر) [قصيدته السابقة صفحة 63]

وصدق الله القائل في محكم كتابه (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية:23].

ولنزار قباني قصيدة بعنوان (الرب العاشق) يصف فيها إله الأولين والآخرين ومالك يوم الدين سبحانه وتعالى بصورة مهينة، فيقول:

(سيدتي.. حبك صعب..
حبك صعب.. حبك صعب..
لو عانى الرب كما عانيت..
لصاح من البلوى: يا رب) [المصدر السابق صفحة ٤٦]

وهنا يعتقد الخبيث بعقيدتين لدى النصارى وهي: صلب نبي الله عيسى، وعقيدة التعميد لديهم فيقول :

(امتحيني وطناً في معطف الفرو الرمادي..
اصلبيني بين نهديك مسيحاً..
عمّديني بمياه الورد.. وعطر البيلسان) [ديوانه (أشعار خارجة على القانون) صفحة20]

ويطلب نزار قباني من عشيقته وحبيبته أن تُرجع الله عز وجل إلى سمائه، والماء إلى بحره، فيقول:

(أرجوكِ ياسيدتي..
أن ترجعي إلى البحار الماء..
والربَّ للسماء). [المصدر السابق ص 105]

ونحب بهذا الصدد أن نقرّر مسألة تاريخية هامة وهي أن انتهاك جناب الدين داخل دولة الإسلام لم تكن تعرفه الأمة قبل أن تستباح أرضها من طرف ملاحدة أوربا، وتمكنهم من نشر عقائدهم الفاسدة في عقول أبناء المسلمين، باسم الحداثة والإبداع والتنوير، فأي نور يوجد في الكفر والإلحاد والزندقة.

فما حلّ بالأمة من محن ونكبات كان أخطرها سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود والنصارى ومن شايعهم من العلمانيين العرب، مكن الدول الإستعمارية من تنصيب وكلائها العلمانيين على رأس حكومات جل الدول التي اقتطعت من جسد الخلافة، أما الدول التي لم يستطيعوا أن يغيّروا فيها طبيعة الحكم كالمغرب المحروس بعناية الله، فقد عملوا على رعاية من تشرب من أبنائها الإشتراكية أو الشيوعية ودعمهم بالأموال والحماية حتى يكونوا خلفا له بعد خروجه مدحورا وكذلك وقع.

العدد 05 ، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

أهداف العولمة وآثارها الاقتصادية

الحلقة الثالثة

لقد روّج دعاة العولمة في الغرب وعملاؤهم في المنطقة العربية مجموعة من المقولات لصالح العولمة، ومن ذلك: أنّ العولمة تبشر بالازدهار الاقتصادي والتنمية والرفاهية لكل الأمم والعيش الرغيد للناس كلهم، والانتعاش، ونشر التقنية الحديثة، وتسهيل الحصول على المعلومات والأفكار عبر الاستفادة من الثورة المعلوماتية الحديثة، وإيجاد فرص للانطلاق للأسواق الخارجية، وتدفق الاستثمارات الأجنبية التي تتمتع بكفاءة عالية، وبالتالي ينتعش الاقتصاد الوطني والقومي.

ولكن سرعان ما اكتشف الباحثون والمفكرون أن تلك المقولات ما هي إلا شعارات استهلاكية جوفاء.

ولقد أدركت الدول الفقيرة والنامية أن طغيان العولمة واحتكارات الشركات الدولية إنما يزيدها فقراً، وخضوعاً للسياسات الرأسمالية الغربية فأخذت تستنفر جهودها للدفاع عن حقوقها في مواجهة هذه العولمة، فلقد حذّر "مهاتير محمد" رئيس وزراء ماليزيا من العولمة في المجال الاقتصادي، وقال: "إن منظمة التجارة العالمية تسمح للدول الغنية بابتلاع الدول الفقيرة".

ومن الأقوال التي تؤكد المخاطر الجدية للعولمة على مقدرات الحكومات والشعوب، ما جاء في كلمة للرئيس الفرنسي "جاك شيراك" ألقاها بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي (14 يوليو 2000م)، حيث قال: "إنّ العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة وإن كانت عامل تقدّم فهي تثير أيضا مخاطر جدّية ينبغي التفكير فيها جيداً ومن هذه المخاطر ثلاثة: أولها أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي وثانيها: أنها تنمي الجريمة العالمية، وثالثها:أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية".

وأيضاً ما ذكره الكاتب الأمريكي الشهير "وليم جريدر" في كتابه الصادر عام 1977م: "عالم واحد مستعدون أم لا""OneWorldReadyOrNo" حيث بيّن صفات العولمة، وكشف خطورة آثارها، فوصف العولمة، بأنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وإنها قادرة على الحصاد وعلى التدمير، وإنها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، وبقدر ما هي منعشة فهي مخيفة، فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها، وهو يري أنّ تلك الثورة المادية التي حررت رأس المال وجعلت المادة تسبق الفكر، وتتخطى جمود السياسات، كانت نتيجتها ظهور تحولات عظمى في العالم أجمع، وبقدر ما بعثت وأنعشت الطموح والرغبة في تكديس الثروات، خلفت وراءها عدم الاستقرار وعدم الأمان، وبقدر ما أتاحت من تكنولوجيات حديثة، فإنها بعثت البربرية من جديد.

وعندما نعود إلى مفهوم العولمة كما يطرحه الغرب فإنّ أول ما يستوقفنا هو: أن الذين يطرحونه ينظرون إلى التفاعل البشري على أنه تفاعل بين طرف ذكي قوي وطرف غبي ضعيف؛ طرف يمتلك، وطرف يجب أن يكون فاقداً للتملك؛ وإذا نظرنا إلى آلية هذه العولمة يبرز لنا على الفور مفهوم إلغاء الآخر؛ وليس بالضرورة أن يكون هذا الإلغاء هو الإفناء التام للوجود، إنما تدل الآلية الغربية على أن العولمة هي الفرز الحقيقي بين سيد وعبد، بين منتج ومستهلك، بين من يصنع التكنولوجيا ويؤسس لتقدم علمي سريع وبين من يُراد له أن ينسلخ عن ماضيه الحضاري تماماً، وعن عقيدته وينبهر بمعالم التقدم العلمي الغربي السريع.

والأهداف الحقيقية للعولمة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: الأهداف والآثار الاقتصادية

ترتبط عملية العولمة بتدويل النظام الاقتصادي الرأسمالي، حيث تمّ توحيد الكثير من أسواق الإنتاج والاستهلاك، وتمّ التدخل الأمريكي في الأوضاع الاقتصادية للدول، وخاصة دول العالم الثالث، عبر المؤسسات المالية الدولية: كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، التي تمارس الإملاءات الاقتصادية المغايرة لمصالح الشعوب، وبالتالي تحقق العولمة لأصحابها عدة أهداف كبيرة في المجال الاقتصادي هي:

1- السيطرة على رؤوس المال العربية، واستثماراتها في الغرب فالعالم العربي الذي تتفاقم ديونه بمقدار (50) ألف دولار في الدقيقة الواحدة هو نفسه الذي تبلغ حجم استثماراته في أوروبا وحدها (465) مليار دولار عام 1995م، بعد أن كانت (670) ملياراً عام 1986م فنتيجة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والتبعية النفسية للغرب تصب هذه الأموال هناك لتدار حسب المنظومة الغربية.

2- الهيمنة الأمريكية على اقتصاديات العالم من خلال القضاء على سلطة وقوة الدولة الوطنية في المجال الاقتصادي، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولي، حين تستجدي منه المعونة والمساعدة عبر بوابة القروض ذات الشروط المجحفة، وخاضعة لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول، ولعل تركيا والمكسيك وماليزيا من النماذج الواضحة للدول التي عصف بها تيار العولمة لصالح المستثمرين الأمريكيين.

يقول رئيس وزراء ماليزيا: "مهاتير محمد" الذي عانت بلاده من آثار العولمة في السنوات الأخيرة: "إنّ العالم المعولم لن يكون أكثر عدلاً ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة، وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت وتدمير كثير من الناس، فإنّ العولمة يمكن أن تفعل الشيء نفسه، ربّما أكثر من ذلك في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء".



ويقول الدكتور عماد الدّين خليل: "إن العولمة تجعل العالم كله قرية صغيرة تتحكم فيها الزعامة الأمريكية وبطانتها اليهودية بمصائر الأمم والدول والشعوب، وتضع مقدراتها المالية والاقتصادية -في نهاية الأمر- تحت قبضتها، تفعل بها ما تشاء من أجل تحقيق أهداف نفعية (براغماتية) صرفة لصالح مراكز الهيمنة الغربية على حساب الأمم والدول والشعوب".

إنّ الدول العربية - كإحدى المناطق المستهدفة بالعولمة- بلغت ديونها الخارجية عام 1995 م: (250) مليار دولار، وتتفاقم ديونها بما مقداره (50) ألف دولار في الدقيقة الواحدة، ولا شك أنه كلما ارتفعت وتيرة الديون كلما ترسّخت التبعية ووجدت الذريعة للتدخل، وبسبب هذه الديون - التي بدأت بتشجيع من الغرب عن طريق البنك الدولي وصندوق النقد الدولي اللذين يعملان على إغراق الدول المستهدفة بالديون - أصبح اقتصاد معظم هذه الدول متخبطا، يستطيع وبصعوبة بالغة ملاحقة خدمة الديون وفوائدها المتراكمة، فهي في الحقيقة وسيلة لبسط النفوذ على البلاد تماماً كما كانت في الماضي.

وللعلم فقد أكد التقرير الاقتصادي الصادر عن مجلس الوحدة الاقتصادي العربي أن الجزائر مثلاً ستخسر سنوياً ما بين 1.5 إلى2 مليار دولار بانضمامها وتطبيقها لقرارات اتفاقية التعريفة الجمركية "الجات".

3- تحقيق مصالح المجموعات الغنيّة في الدول الغربية والقوى المتحالفة معها في الدول الأخرى على حساب شعوب العالم، وممّا يدل على ذلك فشل تجربة "النمور الآسيوية": ومنها إندونيسيا وماليزيا، حيث لم تستطع تحقيق المصالح الاقتصادية المطلوبة لشعوبها، إذ عملت الشركات المتعددة الجنسيات على إحداث هذا الفشل، وقام أحد المستثمرين الأجانب-أحد رموز العولمة- الملياردير "جورج سوروش" باللعب في البورصة مما أدى إلى ضرب التجارة التنموية وإحباطها.

ولقد أدلى "جورج سوروش" نفسه بشهادة لاذعة أمام الكونغرس الأميركي فقال فيها: بدلا من أن تتصرف أسواق المال مثل البندول فإنها تصرفت مثل كرة التهديم المعدنية، وراحت تقوض دولة تلو الأخرى، وعليه فإن استخلاصنا الأخير بأن أسواق المال سوف تواصل تقريب العالم بعضه إلى بعض هو استخلاص مثير للجدل والخلاف.

إن هذه الشركات تعُد الأرض كلها سوقاً كبيراً لها، بما فيها، ومن فيها، بحيث تتنافس في اقتسام هذه الأراضي دون أي اعتبار لقيم أو أخلاق، وهي نادراً ما تدخل في شكل استثمارات مباشرة طويلة الأمد وإنما تدخل بما يعرف بالأموال الطائرة، في استثمارات قصيرة الأجل وسريعة الفوائد والتي تحقق لها عوائد هائلة، دون أن يكون لذلك مردود على التنمية المحلية، وإن حدث وقدمت استثمارات مباشرة، فإنها قبل ذلك تأخذ ما يكفيها من التسهيلات والضمانات السياسية والاقتصادية التي لا تحظى بها رؤوس الأموال المحلية، وهو ما يعرقل الاقتصاد المحلي، زيادة على ذلك، فإن معظم أنشطتها تقتصر على السلع الاستهلاكية ذات العائد الأسرع نتيجة للنمط الاستهلاكي السائد.

يقول الدكتور "مجدي قرقر": "إنّ الشركات المتعددة الجنسيات أدى تطورها وتضخمها إلى تعميق العولمة اقتصادياً، وتعدد أنشطتها في كل المجالات: الاستثمار والإنتاج والنقل والتوزيع والمضاربة، ووصل الأمر إلى أنها قد صارت تؤثر في القرار السياسي والبعد الثقافي والمعرفي، وفي ظل العولمة استطاعت هذه الشركات الاستفادة من فروق الأسعار، من نسبة الضرائب، من مستوى الأجور لتركيز الإنتاج في المكان الأرخص وبعد ذلك ينقل الإنتاج إلى المكان الذي يكون فيه مستوى الأسعار أعلى ويتم تسويقه هناك".

في يوم 2000/6/19م عقد في القاهرة مؤتمر ضمّ الدول الخمسة عشر -أفريقية وآسيوية- من الدول النامية- أكدّ المتحدثون فيه أن الاقتصاد العالمي الجديد هو لصالح فئة قليلة تزيدها غنى فوق غناها، على حساب الدول الكثيرة الفقيرة، وهو يدفع الدول النامية إلى مقبرة الفقر.

وترتب على هذا الهدف ما يلي: لقد كانت نتيجة العولمة خطيرة في حياتنا الاقتصادية، فضلاً عن الجوانب الأخرى، وقد حصرها بعض الاقتصاديين العرب بالنقاط الآتية:

1- إنهاء دور القطاع العام وإبعاد الدولة عن إدارة الاقتصاد الوطني.

2- عولمة الوحدات الاقتصادية وإلحاقها بالسوق الدولية لإدارتها مركزيا من الخارج.

3- العمل على اختراق السوق العربية من قبل السوق الأجنبي.

4- إدارة الاقتصاديات الوطنية وفق اعتبارات السوق العالمية بعيداً عن متطلبات التنمية الوطنية.

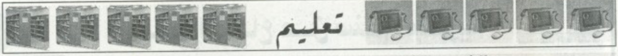
5- العمل على إعادة هيكلة المنطقة العربية في ضوء التكتلات الدولية.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

6- "الإغواء الاقتصادي: ويعني إغواء الدول المتواضعة تقنيًا وعلميًا واقتصاديًا بمشاركة العمالقة في مشاريع عابرة القارات، وهذه المشاريع كل مكوناتها من الخارج، وربما فتحوا لهم بعض الأسواق، وبعد أن يكون البلد الفقير قد دفع دم الشعب، وضحى بحاضره ومستقبله في مثل هذه المشاريع تتم عملية السيطرة أو الإجهاض، إن شيئاً من هذا قد تم في ماليزيا وإندونيسيا.

7- السيطرة الاقتصادية ذات المظاهر المتعددة، منها: شراء موارد الدول المستضعفة وموادها الخام بأقل الأسعار، وإعادة تصنيعها ثمّ بيعها لها في صورة جديدة بأغلى الأسعار، وفي حالة البترول يضيفون إليه ضريبة يسمونها ضريبة الكربون، وهي تعني ضريبة تلوث أجوائهم نتيجة النشط التصنيعي". اهـ

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005



تعليم

آثار المغادرة الطوعية على قطاع التعليم

بقلم: علي نجم

جاءت عاصفة المغادرة الطوعية. وذهبت بالعديد من الموظفين فبقيت أماكنهم شاغرة بدون تعويض. ونتج عن ذلك ظهور خصاص واضح في مختلف القطاعات إن على مستوى الكم أو على مستوى الكيف وذلك لغياب تخطيط لسد الفراغ الذي ستخلفه هذه المغادرة كما أن هؤلاء المغادرين غالبا ما يكون لهم من الخبرة والحنكة ما يمكنهم من حل المشاكل بقليل من المجهود. فكيف ستعوض هذه المناصب؟ وكيف ستعوض هذه الخبرات؟

ويلمس العاملون بقطاع التعليم عن كثب المشاكل التي خلفتها المغادرة الطوعية وهذا لا يعني سلبيتها أو عدم نجاعتها في إحراز النتائج المتوخاة منها. غير أن الانعكاسات التي عرفها قطاع التعليم والمتمثل في الفراغ الكبير الذي خلفته هذه الخطوة. مردها في اعتقادنا إلى ضعف التخطيط وسوء تقدير تلك الانعكاسات. فالعديد من المؤسسات التعليمية لا تتوفر على مدير أو حارس عام أو ناظر. كما أن عددا من الأقسام لا تتوفر على أساتذة في مختلف المواد. بل بلغ الأمر إلى حد أن الأساتذة بمؤسسة بحي الرياض يقومون بتسيير إداراتها نظرا لشبه غياب الطاقم الإداري بسبب المغادرة الطوعية مما سيكون له انعكاسات سلبية تخل بشكل فادح بالسير العادي للمؤسسة.

ولحد الآن وقد انتصف الطور الأول من العام الدراسي لا يزال المدراء وجمعيات الآباء يطالبون بأساتذة لهذا القسم أو ذاك. وحتى وإن تم سد هذا الخصاص. فكيف ستستدرك الأطر الجديدة هذا التأخير؟

ويضطر المسؤولون لسد هذه الفراغات إلى حلول ترقيعية غالبا ما توقع في مشاكل أخرى. فمثلا يقوم بعض المدراء بتكديس الأقسام لتعويض النقص الحاصل في الأساتذة فيزيدون من مشكل الاكتظاظ. ويقوم بعضهم بدمج الأقسام للحصول على أستاذ فائض يرسل إلى مؤسسة أخرى. هذه العملية التي أسفرت عن زوبعة من الانتقالات العشوائية للأساتذة. و هناك مدرس للتربية البدنية بإعدادية العيون1 انتقل من وإلى ثلاث مؤسسات في ظرف شهرين. وكمثال على المؤسسات التي تعاني من النقص في المدرسين أذكر:

- إعدادية العيون2: خصاص في مادة الرياضيات بمدرسان".
- ثانوية قيصر بسطات: خصاص في مادة الترجمة.
- إعدادية الخوارزمي بسلا: خصاص في مادة الرياضيات والفيزياء والتربية الأسرية.
- ثانوية النظر الجميل بسلا: خصاص في التربية البدنية.

واللائحة طويلة جدا. لأن عدد المؤسسات التي تعاني من الخصاص كثيرة جدا وفي جميع أنحاء المملكة. ويحكي زميل لكاتب هذه الأسطر وهو أستاذ للرياضيات أن القسم الذي كانت تدرس به ابنته كان محروما من ثلاثة مدرسين. فاضطر لنقلها إلى مؤسسة خاصة كلفته 750 درهما شهريا.

ألم يتوقع المسؤولون أو من أشرف على وضع خطط تطبيق مشروع المغادرة الطوعية لهذا الفراغ الذي ستخلفه المغادرة الطوعية؟ أم أنهم كانوا يدركون وقوع هذا الاختلال ولم يستطيعوا دفعه؟ فإذا كانت كتلة الأجور تشكل حيزا كبيرا من ميزانية الدولة وعبئا يثقل كاهلها مما جعلها تطبق مشروع المغادرة الطوعية حلا لهذا المشكل فإنه كان لزاما عليها أن يشمل تخطيطها حلولا للتوقعات السلبية كذلك وعدم تركها عالقة. ألم يكن حريا بهم أن يملؤوا المناصب الشاغرة بأطر جديدة بواسطة التعاقد بدل التوظيف.

ويبقى أملنا وأمل المدرسين وأولياء التلاميذ أن تطلع علينا الأيام المقبلة بجواب مقنع وحل جامع مانع لهذه المشاكل. وفي انتظار ذلك تبقى جماهير من التلاميذ لا يتوفرون على مدرسين لبعض المواد. كما أن عددا من المدرسين لا زالوا يعيشون وضعا مأساويا. حيث يتنقلون من مؤسسة لأخرى.

ومن المفارقات العجيبة أن موظفي القطاع بينما كانوا ينتظرون إصلاحا وشيكا للتعليم في ظل الميثاق الوطني. فوجئوا بولادة مشاكل جديدة خلفتها المغادرة الطوعية تنضاف إلى المشاكل المزمنة التي ظل يعاني منها القطاع العام للتعليم. كصعوبة الإلتحاق بالزوج والاكتظاظ هذا في الوقت الذي تعقد فيه الندوات والمؤتمرات بخصوص الرفع من جودة التعليم.

موجة الامتحانات المهنية

تستولي الاختبارات المهنية التي ستجرى في أواخر شهر نونبر على النصيب الأوفر من حديث أسرة التعليم في هذه الأيام. ولا غرابة في ذلك لأنها سبيل لترقيتهم وتحسين حالتهم المادية ما دام الإدماج عن طريق الأقدمية متعثرا ويخضع لمساطر معقدة.

ويعتبر مفهوم الكفايات أهم المحاور التي تحوم حولها هذه الامتحانات. هذا المحور الذي نزل عليهم ضربة واحدة ولم يكن لهم به سابق عهد ولا تلقوا فيه تكوينا. فاضطروا لخلق بوادر ذاتية وإحداث برامج جمعوية للحصول على تكوين ذاتي في هذا المجال يخول لهم اجتياز الاختبار المهني. ومن بين الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن: هل هذه الاختبارات معيار لتقييم الموظف؟ هل تتساوى فيها الحظوظ في الاختبار والتصحيح وغير ذلك؟ ما هو أثرها على رجل التعليم؟

فالعديد من الموظفين ينتقدون هذه الاختبارات بحجة أنها لا تكشف عن الوجه الحقيقي لرجل التعليم لأنها مجرد مواد كتابية في حين أن عمل المدرس هو عمل ميداني يتم في القسم وأمام مجموعة من التلاميذ لا أمام قلم وورقة وحارس ومصحح. ويقترح هؤلاء أن تكون هناك زيارات للمدرس في عين المكان من طرف لجان مختصة تقيم طريقة عمله. لكن هذه الطريقة عليها أيضا مؤاخذات. لأنها تتطلب وقتا وجهدا كبيرين نظرا للكم الهائل من المترشحين. ولغياب كيفية موحدة تتم بها هذه الزيارات وكذلك للتخوف من الشطط أو المحسوبية.

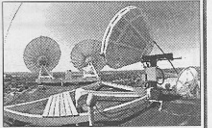
كما أن هناك فئة كبيرة من المترشحين تشتكي من عدم تساوي الفرص في هذه الامتحانات المهنية. إما بدعوى تدخل الرشوة ومشكل "ذوي القربى" أو بدعوى الاختلاف بين المصححين وطرق التصحيح. وهناك الغش الحاصل أثناء المباراة من طرف بعض المترشحين للأسف. فالمدرس هو القدوة ولا يستساغ أن يقوم بمثل هذه الأعمال ثم ينتصب بعد ذلك لتربية الأجيال.

وتخلف هذه الاختبارات آثارا مهمة في نفسية المدرس لأسباب عدة. حيث أن غالبية المرشحين تخرجوا منذ مدة وتآكلت معلوماتهم لأنهم لا يتلقون تكوينا مستمرا ليجدوا أنفسهم أمام اختبارات مهنية تتطلب منهم بذل مجهودات كبيرة في المراجعة خصوصا وأن المعلومات تتطور بشكل مستمر. وكيف يستطيعون التركيز وأغلبهم مشغول بتوفير مصاريف الكراء والتنقل والتغذية وكاهله مثقل بالديون. كما أن الشك في مصداقية هذه الامتحانات وفي طرق التصحيح يزيد المدرس ألما ومتاهة. وعندما تظهر النتائج فتلك هي الطامة الكبرى. لأن نسبة النجاح لا تتجاوز 11 مما يصيب فئة كبيرة من الراسبين بالإحباط بعدما عقدوا أملا على الترقية وتحسين الحالة المادية.

إن هذه الامتحانات ضرورية لتحفيز المدرسين والرفع من مستواهم وحثهم على التكوين الذاتي وتمكينهم من الترقي. لكنها تحتاج إلى نظر في كيفية إجرائها وفي طرق التصحيح. علاوة على ضرورة مساعدة الجهات المسؤولة للمترشحين في الاستعداد إليها ومدهم بدورات تكوينية ووثائق مساعدة.

وسقط القناع عن صنم الحرية

بقلم: عبد إلله الشرقي



تقف الصحف العلمانية بكل تبجح وصفاقة، وهي تمارس وكالتها عن الغرب في بلادنا، موقف الواعظ الأمين مطالبة بترسيخ مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول الإسلامية، ولا تمل من ممارسة التضليل والتزييف في توظيفها للمعلومات والأحداث، وذلك خدمة للنموذج الغربي بغية تلميعه وتقديمه على أنه المثل الأعلى وذلك لما يضمنه من صيانة للحريات وحماية للحقوق.

وكعادتهم يقوم هؤلاء العلمانيون دائما بدس أنوفهم ووجوههم الصفيقة في التراب كلما هبّت رياح تحمل أخبار الإنهزام الغربي في مجال الحريات والحقوق، وآخر هذه الرياح هبوبا تلك العاصفة التي حملت معها نبأ محاولة قصف الولايات المتحدة لمقر قناة الجزيرة، فبقدر ما عصفت هذه الرياح بصنم الحرية الغربي وأرغمت أنفه، بقدر ما أظهرت انحطاط ثقافة "الآخر" الذي يحاول العلمانيون إجبارنا على محبته، واعتناق ديانته، وما ركّبه من مفاهيم تخدم أيديولوجياته في السيطرة على مقدراتنا، وضرب نقط القوة في بنية هويتنا الإسلامية.

فعندما تناقلت وكالات الأخبار الدولية خبر تسرب وثيقة تدين أمريكا بمحاولة استهداف مقر قناة الجزيرة عسكريا اختلف المراقبون بين مصدق ومكذب، لكن قيام الحكومة البريطانية بتهديد كبريات الصحف البريطانية ومنعها من نشر خطة قصف قناة الجزيرة أكد الخبر ولم يترك أدنى مجال للشك.

وقد أكدت الصحف البريطانية "ديلي تايمز" و"ذي تايمز" و"جارديان" أنها لم يسبق أن تلقت تهديدات بهذه الصرامة من الحكومة البريطانية.

وأوضحت هذه الصحف أن التهديد القضائي تلقته من النائب العام اللورد "غولد سميث" بموجب قانون السرية الرسمية، إذا ما نشرت مزيدا من تفاصيل الوثيقة.

وبهذا الحدث، وبهذه الإجراءات، من دولة تعد رائدة في مجال الحريات -بزعمها-، يتبيّن أن لكل شيء حدودا، حتى لتلك المطالب والمبادئ السامية التي أصبح كل صاحب عقل واع غير مخمور بمسكرات الشعارات البراقة، يعلم أن مثل شعار الديموقراطية وحقوق الإنسان والحرية الشخصية وحرية التعبير وحرية الاعتقاد، إنما هي إيديولوجيات تفرضها الدول الغربية لإخضاع الدول الإسلامية، ومن لم تنكشف له هذه الحقيقة فليُفسِّر للناس لماذا يقوم الغرب بالتخلي عن الديموقراطية بمفاهيمها السامية! كلما تعامل مع غيره خارج حدوده؟ حيث يتمرغ في الوحل بل تنقلب ممارساته من ديمقراطية إلى ديكتاتورية، فأمريكا دولة ديمقراطية، لكنّها ديكتاتورية خارج حدودها في أفغانستان والعراق والصومال وفيتنام وباناما وغيرها، وكذلك انجلترا يصنفها الناس أعرق الديمقراطيات في العالم، ولكنها تمارس أبشع مظاهر الديكتاتورية خارج حدودها في العراق وغيره، أما الكيان الصهيوني فيحتل المرتبة الأولى في تطبيق الديمقراطية كما تراه أمريكا، لكنه ديكتاتور سفاح مبيد للأطفال والنساء في فلسطين، والعجيب أن بعض هؤلاء يتفهم ديكتاتورية بعض، ويصفها بأنها دفاع عن النفس وحماية للمصالح.

إن الترويج من طرف العلمانية للمبادئ والقيم الغربية في بلادنا، وإيهامهم لأبنائنا أن تلك المبادئ والقيم هي سر تقدم وازدهار الغرب، لإحدى الكذبات الكبرى في تاريخ أمتنا الإسلامية، فهذه الدول لم تزدهر إلا باستنزاف ثرواتنا النفطية والمعدنية والفلاحية ونهبها، وإجبارنا على تبعيتها الاقتصادية والثقافية وذلك لتكريس تخلفنا.

إن الترويج من طرف العلمانية للمبادئ والقيم الغربية في بلادنا، وإيهامهم لأبنائنا أن تلك المبادئ والقيم هي سر تقدم وازدهار الغرب، لإحدى الكذبات الكبرى في تاريخ أمتنا الإسلامية، فهذه الدول لم تزدهر إلا باستنزاف ثرواتنا النفطية والمعدنية والفلاحية ونهبها، وإجبارنا على تبعيتها الاقتصادية والثقافية وذلك لتكريس تخلفنا.

وإلا فماذا يعني احتلال أرضنا في العراق رغم معارضة أغلب دول العالم؟ ولماذا يُهَرَّبُ نفطنا، ويعاد تشكيل بنائنا الحضاري والسياسي والديني والاقتصادي، وحتى القبلي؟

ولماذا يتفهم الرئيس بوش قتل شارون للأطفال واغتيال القادة في فلسطين بينما ينعت المقاومة بالإرهاب؟

ولماذا يشجع الأمريكيون الشيعة على قتل السنّة ويوفرون لهم الغطاء العسكري والأمني لممارسة الإبادة في الفلوجة؟

بينما يمثل الغرب بسخرية دور المقيم للعدالة والمحب للحقيقة ويحرك منظماته الدولية التابعة للأمم المتحدة للتحقيق في مقتل رفيق الحريري.

أبعد هذا كله يطلب من المسلمين أن يُصدّقوا أن الدعوات الامريكية لمحاربة الإرهاب والنصائح الامريكية للدول الإسلامية بترسيخ ثقافة الديموقراطية سيؤول إلى صالح الشعوب الإسلامية وسيحقق لها النمو والازدهار.

أما زال يستساغ بعد كل هذه الفضائح أن نؤمّل حلاً لمشاكلنا عبر الأمم المتحدة والقنوات الدولية؟ إن كان الجواب بالإيجاب لم يعد في الحياة منطق أو عقل أو حتى فهم يمكن أن يتوصل بواسطته إلى معرفة الحق من الباطل، أو الصحيح من الخطأ.

لكن هذا الالتباس وهذا التناقض إنما يساهم فيه بشكل رئيس، ذلك الإعلام المحسوب أنه عربي أو مسلم، بينما هو في الحقيقة غربي مستغرب، علماني متمسح بالعروبة، لا يرعى للهوية ولا للدين قدرا، بل يملأ آذاننا بتمجيد الغرب وما وصل إليه من تقدم وازدهار دون أن يوضح لنا كيف يحافظ هذا الغرب على ازدهاره وقوته؟ وكيف ينهب الأوطان في سبيل توفير النفط لآلاته الصناعية؟ وكيف يفرض على الأمة الإسلامية التبعية الاقتصادية؟ ويمارس الضغوطات عبر مؤسساته المالية التي سماها -تضليلا- أممية ودولية، وذلك حتى نظل نستجديه السلاح والقوت واللباس.

فمتى يكف العلمانيون عن ممارسة التضليل والتزييف وبث التغريب والأمركة في صفوف شبابنا؟ ولماذا نجد عندهم الجرأة في الانتقاص من كتاب الله وازدراء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسب الصحابة والخلافة الراشدة ولا نجد معشار هذه الجرأة في نقد تصرفات الإنسان المتحضر، ونقط الضعف القاتلة في النموذج الغربي، هذا النموذج الذي يتخفون وراء الدعوة إليه لهدم الإسلام ومسخ أبنائه.

إن خلاصة الرسالة التي يسهر على أدائها الإعلام العلماني بالمغرب تتلخص في التالي:

- استكمال ما بدأه المستعمر من استبدال العلمانية بالشريعة الإسلامية.
- نشر الشبهات حول أحكام الشريعة الإسلامية.
- الدعوة إلى الأخذ بما عند الغرب دون تمييز بين الغث والسمين.
- تزهيد المسلمين في دينهم وهويتهم.
- محاربة التعليم الإسلامي، واللغة العربية والتضييق عليهما، وتشجيع التفرنس، والتغريب.
- تشجيع الرذيلة والتبرج والشذوذ وإشاعته بين الشباب، عبر المسلسلات و"الأفلام" والمجلات المدعومة من الخارج.
- الترويج للمذاهب والفرق الضالة مثل الخوارج، والمعتزلة، والشيعة الباطنية، واعتبارها تمثل المعارضة النزيهة والطبقة المظلومة خلال الخلافتين الأموية والعباسية.
- قطع علاقة المسلمين بتاريخهم الحديث من خلال اعتبار الخلافة العثمانية استعمارا أجنبيا، تبنيا منه للموقف الغربي اتجاه العثمانيين المسلمين.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

التطرف بين الثقافة والسياسة عند الآخر
الأصولية المسيحية نموذجا.

قاسم العلوش
باحث في العلوم السياسية

التحالف مع الصهيونية العالمية

(الحلقة 3)

مقدمة:

حينما أمر الملك هنري الثامن، ملك إنجلترا عام 1583م بترجمة التوراة للغة الإنجليزية، ونشرها وإتاحتها للقراء من قبل العامة، كان بذلك يضع اليهودية، تاريخا وعادات وقوانين، لتكون جزءا من الثقافة الإنجليزية بشكل خاص وعنصرا مهما من ثقافة العالم المسيحي فيما بعد بشكل عام، ولتصبح التعاليم التوراتية التي ارتكزت عليها الحركة الصهيونية لتبرير إيديولوجيتها وتطرفها ذات تأثير هائل في ثقافة ومخيلة الإنسان الغربي بشكل عام ورجال الدين والساسة بشكل خاص.

أولا: من العداوة إلى التحالف

إلى حدود القرن السادس عشر كان العالم النصراني يرى في اليهود العدو الأكبر له، انطلاقا من أنهم كانوا يعدونه بحسب نظرة أرباب الكنيسة، المسئول المباشر عن موت وصلب الرب/ يسوع الابن والإله في نفس الوقت، بحسب معتقدات كتبة العهد الجديد " الإنجيل ". فالكنيسة كانت قد حسمت موقفها من اليهود فحاصرتهم في أوربا وعملت على اضطهادهم وتجميعهم في "غيتوهات" بعيدا عن المجتمع المسيحي.

كما أن أوربا الغربية لم تكن تنظر إلى اليهود قبل حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) المستندة على المعرفة الجديدة بالعهد القديم "التوراة" بعد الترجمة المشار إليها، لم تكن تنظر إليهم على أنهم "شعب الله المختار". كما لم تكن تقول إن فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الله بها، ولم تكن هناك أية فكرة تدور حول "إسرائيل" أكثر من كونها اسما لدين سماوي وليست كيانا وطنيا. (يوسف الحسن / البعد الديني في السياسة الأمريكية ، ص: 20).

لقد عرف القرن السادس عشر ظهور مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات المسيحية اليهودية، وبخاصة مع بروز حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، حين تداخلت في هذه الحركة أساطير صهيونية، وتسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية "للتوراة" . وساعد على تناميها دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة.

البروتستانتية تعني لغويا الاحتجاج والاعتراض، وتدعو إلى حرية القول والرأي، ومن هنا يمكن تفسير العدد الكبير من الفرق والمذاهب المنشقة من حركة الإصلاح الديني البروتستانتي. ويمكن القول أن البروتستانتية ما كانت لتنمو من دون معرفة كتاب العهد القديم "التوراة"، وهو الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين على حد سواء، وهو في مجمله يضم الشعر والنثر والحكم والأمثال والقصص والأساطير والغزل والرثاء الخ... وقد لحقه الكثير من التعديلات والإضافات طوال الأجيال. وتعددت فيه النصوص والترجمات والتصحيحات، وهو تراث شعبي لا سند له إلا الذاكرة. فكانت مساهمات البشر فيه كثيرة على مدى تسعة قرون وبلغات مختلفة. (موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة و الإنجيل والعلم).

تكمن أهمية حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في كونها تعد طليعة ورائدة في مجال استكشاف الأفكار الصهيونية المتعلقة باستعادة فلسطين وطنا لليهود، بالإضافة إلى عملها على توطيد الصهينة داخل الحركات المسيحية بتعدد ألوانها ومعتقداتها، لتكون فيما بعد قاعدة انطلاق تغذي التطرف الأصولي المسيحي في القرون الموالية وبخاصة في وقتنا الحالي، حتى نجد تصريحا لرئيس دولة تدعي التقدم والحداثة واحترام حقوق الإنسان يقول: أن الله كلفه بمهمة غزو الشعب الفلاني.

ثانيا: معالم الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية

لقد دخل العهد القديم "التوراة" الولايات المتحدة الأمريكية منذ بدايات تأسيسها وبشكل طبيعي مع أوائل المهاجرين إليها من الذين لفظتهم أوربا الكاثوليكية، حيث كانت نسبة كبيرة منهم ممن تأثر بأفكار حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، وقد مارس المهاجرون الأوائل الأسلوب الاستيطاني اليهودي القديم نفسه لأرض كنعان.

فقد درس هؤلاء المهاجرون واستوعبوا قصص العهد القديم وخاصة الأسفار التي تناولت دخول اليهود أرض كنعان (فلسطين) بعد خروجهم من مصر، فصارت الولايات المتحدة الأمريكية عند هؤلاء المهاجرين كنعان الجديدة. وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء، حينما فروا من ظلم فرعون (الملك جيمس الأول في هذه الحالة) وهربوا من أرض مصر (انكلترا في هذه الحالة) بحثا عن أرض الميعاد الجديدة. (روجينا شريف، الصهيونية غير اليهودية/ ص، 90).

وكانت مطاردة مهاجري أوربا للهنود الحمر في العالم الجديد الأمريكي، مشابهة لطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين،وقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجدانا متشابها ومشتركا بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث، فالذين هاجروا إلى أمريكا في القرنين السابع عشر والثامن عشر أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم، والذين هاجروا من اليهود إلى فلسطين المحتلة في العصر الحديث استعملوا كل الوسائل المتطورة في طرد السكان العرب الأصليين، بل ويعملون على إبادتهم بأعنف الوسائل، كما أن ما تقوم به قوات الاحتلال الأمريكي في بلاد المسلمين، وقد نقلت إلينا وسائل الإعلام العالمية، حينما كانت القوات الأمريكية تستعد لاقتحام مدينة الفلوجة العراقية كيف أنها أتت بالوعاظ الدينين النصارى لينفثوا روح الحماس في الجندي الأمريكي ليقتل المسلمين هناك لأنه في حرب مقدسة من أجل الصليب. كل هذا يعكس لنا تلك المواعظ الدينية نفسها التي كانت تقدم خلال الحرب الأهلية الأمريكية التي كانت تشبه الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة.

هذا وقد استخدم بعض القساوسة فيما بعد من أمثال (جوزيا سترونغ) (J.strong) في عام 1886 في كتاب له بعنوان: بلادنا (Our Country) استخدم عبارة "الشعب المختار" مشيرا إلى أن العنصر الأنكلوساكسوني قد اختاره الله لتحضير العالم. (نصير شمالي، إفلاس النظرية الصهيونية ـ ص، 88).

تبدو "العبرنة" و"الصهينة" واضحة جدا من خلال تعبيرات وأدبيات وقساوسة الحركة المسيحية الأصولية، إلى الحد الذي دفع الرئيس الأمريكي (جيفرسون) باقتراح (أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من النار بدلا من النسر) (كلود جوليان ـ الامبراطورية الأمريكية، ص: 70)، وهذا الاقتراح يتفق مع النص الوارد في سفر الخروج الإصحاح 13 من العهد القديم الذي يقول: (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلا في عمود نار ليضيء لهم)...

(يتبع)

من أقـوال شيوخ المسيحية ـ الصهيونية.

- بات روبرتسون:

يعتبر "بات روبرتسون" واحدا من أقوى الشخصيات الأمريكية في الدوائر السياسية والدينية، فهو رئيس شبكة الإذاعة والبث المسيحي (CBN) في الولايات المتحدة الأميركية والتي تقدم برامجها بواحد وسبعين 71 لغة منها العربية، وهو أحد المرشحين للرئاسة الأميركية عام 1988، كما أنشأ في عام 1989 منظمة التحالف المسيحي (Coalition Christian) التي تضم 19 مليون عضو لمساعدة مرشحي الرئاسة الملتزمين بمبادئ وبأفكار الصهيونية المسيحية.

ناشد "بات روبرتسون" في مؤتمر "هرتسليا" الشعب "الإسرائيلي" أن لا ينتحر وطنياً وذلك بالسماح بإقامة دولة فلسطينية، وطالبه أن لا يسلم أماكن مقدسة للمسيحيين واليهود الى أتباع الله (المسلمين).

وصف بات روبرتسون خلال البرنامج نفسه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "هذا الرجل كان مجرد متطرف ذي عيون متوحشة (تتحرك عبثا من الجنون). لقد كان سارقا وقاطع طريق، وتقول إن هؤلاء الإرهابيين يحرفون الإسلام! إنهم يطبقون ما في الإسلام.

وبدلا من أن يتحدى المذيع "شون هانيتي" هذه الإساءات الصريحة توجه إلى بات روبرتسون بسؤال يقول: "إلى أي مدى تعتقد أن هذه التفسيرات المتشددة (للإسلام) منتشرة (بين المسلمين)؟ هل تعتقد أنها التيار العام؟ هل تعتقد أنها غالبية المسلمين؟".

فأجاب عليه "بات روبرتسون" قائلا: إن الإسلام هو "خدعة هائلة"، ثم رد عليه ،شون هانيتي قائلا، "إذن الإسلام هو تهديد أكبر بما يريد أن يقول به غالبية الأفراد عنا؟ .... هل تعتقد أنه من الحتمي أن يدخل العالم في صراع- ربما كانت حربا- مع الإسلام لعقود قادمة؟". وفي نصف البرنامج الثاني ذكر "بات روبرتسون" أن القرآن "هو سرقة دقيقة من الشريعة اليهودية أنا أعني أن هذا الرجل (الرسول محمد) كان قاتلا. والتفكير في أن هذا (الإسلام) هو دين سلام هو احتيال كبير".

قال (بات روبرتسون) إذ قال: "إن الله يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب".

- جيري فولويل :

يعتبر "فولويل" من أهم القساوسة الذين تأثروا تأثرا ذا بعد ديني بالاحتلال الصهيوني لسيناء، والضفة الغربية (يهودا والسامرا) والقدس، فوصف الجنرال الصهيوني موشي دايان بأنه "رجل المعجزات في هذا العصر".

وتقديرا لخدماته للكيان الصهيوني في الولايات المتحدة، فقد منحه رئيس حكومتها "مناحيم بيغن" وسام "فلاديمير زائيف جابوتنسكي" عام 1980 وكان فولويل أول شخصية غير يهودية تمنح هذا الوسام. كما منحه طائرة خاصة لتسهيل عمليات تنقله بين الولايات في أمريكا داعيا للكيان الصهيوني وللصهيونية-المسيحية.

قال جيري فولويل: إن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله".

ومما قاله فولويل مساء يوم الأحد 6 أكتوبر 2002م في برنامج 60 دقيقة ما نصه : "أنا اعتقد أن محمداً كان إرهابياً . لقد قرأت ما يكفي بأقلام المسلمين وغير المسلمين أنه رجل عنف ، ورجل حروب ..... في اعتقادي المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى ، وأنا اعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً".

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

صحة . أسرة

العقاب البدني للأطفال
أسبابه .. وآثاره النفسية عليهم

روحي عبدات
أخصائي نفسي تربوي

إن العلاقات التي تقوم بين الأطفال ووالديهم في المراحل المبكرة من العمر ذات أثر كبير في صحتهم النفسية، سواء كان هذا التعامل يتسم باللين أو بالقسوة، فعندما تصبح مطالب الآباء من أطفالهم أعلى مما يستطيعون أداءه وعندما يستخدم الآباء العقاب القاسي والقيود الشديدة، ويقيّمون ما ينجزه أطفالهم تقييماً سلبياً باستمرار، ويعاقبونهم على كل ما يصدر عنهم، أو عندما تتسم معاملتهم لهم بالتذبذب وعدم الاستقرار، ويكون هذا هو اتجاه الوالدين في التنشئة، فالاحتمال الأكبر أن يصاب الأبناء باضطرابات نفسية من بينها ، القلق والخوف ومشكلات سلوكية كالعدوان والانطواء الاجتماعي، وقد تتحول هذه الاضطرابات إلى أشكال دائمة من السلوك عند الأبناء، خاصة عندما يستمر الآباء في استغلال أبنائهم وعقابهم على هذا النحو.

إن الآباء الذين يسرفون في العقاب البدني مع أبنائهم، هم في الغالب يتخذون من الطفل وسيلة للتنفيس عن رغباتهم العدوانية المكبوتة، وعن إحباطاتهم ومشاعرهم السلبية المختلفة نحو أنفسهم، وليست ممارساتهم هذه سوى رد فعل على ظروف حياتهم، وضغوطها التي لا يطيقونها، فقد كشفت نتائج أحد الدراسات على أن الآباء الذين يعاقبون أبنائهم بقسوة كانوا يعاقَبون في السابق، أو على الأقل كانوا من المنبوذين.

ولا نعفي هنا الظروف الاجتماعية والثقافية من المسؤولية أيضاً، فمما لاشك فيه أن الظروف الثقافية التي تتحكم في نظام الزواج بما قد يؤدي إلى حدوث اضطراب في الحياة الزوجية وفشل الزواج بين الطرفين، وكذلك الظروف الاجتماعية والثقافية التي قد تؤدي إلى ظروف سكنية سيئة، وإلى زيادة البطالة وزيادة ساعات العمل عند الزوجين، والظروف التعليمية التي تؤدي إلى تفشي الجهل بشكل عام، والجهل بالأمور التربوية بشكل خاص وأسس تربية الأطفال، وإلى زيادة عدد الأبناء مع عدم القدرة على التحكم في تنظيم وتدبير شؤون الأسرة، والعشوائية في ترتيب ظروف الحياة المعيشية والأسرية، والظروف المهنية التي قد تساعد على عدم الرضا في العمل وزيادة ضغوطه، كضعف الرواتب والعلاقة السلبية بين الموظف والمسؤول وعدم النمو الوظيفي، كل ذلك يخلق دون شك جواً من الاحباط سواء بالنسبة للأب أو الأم، أو لكليهما، فيقود ذلك إلى أن يصب الآباء جام غضبهم على الأطفال، كتعبير عن فشلهم في التعامل مع مشكلاتهم الاجتماعية والنفسية والمهنية الخاصة بهم.

وغالباً ما يكون عقاب الآباء لأبنائهم على هذا النحو نتاجاً لعملية تفاعل متبادلة، بين طريقة معاملة الوالدين لطفلهما من ناحية، وسلوك الطفل كرد فعل على هذه الطريقة من ناحية أخرى، فالوالدان المسيئان غالباً ما يكونان غير ثابتين في تعاملهما مع الطفل، ويؤدي هذا التذبذب في المعاملة بدوره إلى فشل في تحديد توجهات ثابتة يسير عليها الطفل، وبالتالي فإن الطفل يفشل في هذه التوجهات وقد يخطئ ويسيء التصرف، ويتصاعد الموقف، الطفل يسوء سلوكه، والوالد يعاقب، ويتكرر سوء السلوك من ناحية الطفل ويشتد عقاب الأب ناسياً أو متناسياً أن المسؤولية تقع عليه وليس على الطفل.

وهكذا تدور العلاقة بين الطفل ووالديه في حلقة مفرغة من سوء التوافق الذي يزداد في كل مرة يتم فيها التفاعل بينهما، وقد يكون من قَدَرِ الطفل أن يولد هو نفسه من النمط المزاجي صعب المراس، أو ناقص الوزن، أو ضعيفاً بشكل عام، مما قد يتسبب في كثرة بكائه، أو في حاجته إلى رعاية أو عناية غير عادية من حيث الوقت والمجهود، وإذا كان ذلك يزيد من الأعباء التي على الأب أن يتحملها في تربية الطفل، لذا فقد يزداد شعوره بالإحباط، وتبدأ الدائرة المفرغة، التي سبق أن صوّرناها، من حيث اتساع الهوة بين الطفل ووالديه، ويصعب بعد ذلك إلتقائهما على طريق التوافق.

لذلك فإن قدراً كبيراً من المشكلات السلوكية التي تظهر عند الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة سببها تعامل الوالدين مع أطفالهم بأشكال غير تربوية، إما من حيث القسوة الزائدة أو الدلال الزائد، وللوالدين الدور الأكبر في تخليص الطفل من هذه المشكلات، وعليهما أن يأخذوا بعين الاعتبار أن للقسوة والعقاب البدني آثار سلبية كبيرة على شخصية الطفل ولتفاعله الاجتماعي وتكيفه النفسي أهمها :

- أن العقاب قد يكون حافزا للوقوع في الخطأ.
- أن الخوف من العقاب قد يدفع الطفل للتفكير في أساليب لتجيه من العقاب كالكذب والغش وغيرهما.
- العقاب من شأنه أن يُرِيَ الطفل والأسرة الجوانب السلبية الموجودة فيه دون الالتفات إلى الايجابيات وجوانب القوة.
- إن السلوك المهذب الذي يظهره الطفل، يكون ردة فعل على الخوف من أجل تجنب العقاب، وليس لقناعة الطفل بضرورة اتباع هذا السلوك.
- غياب الرقيب الذاتي عند الطفل والاعتماد على مصدر الضبط الخارجي لتوجيه تصرفاته وسلوكه.
- يخلق العقاب البدني علاقة سلبية بين الطفل ووالديه ويولد جواً من عدم الثقة.
- كبت مشاعر الطفل وحريته في إظهار انفعالاته وبالتالي قتل روح المبادرة والإبداع لديه.
- العدوان على الآخرين كرد فعل وتعبير عن رفض الممارسات التي يقوم بها الوالدان ضده، وإسقاطها على الآخرين، والخشونة في الألعاب وعند التفاعل مع أقرانه
- الخجل والانطواء وفقدان مهارات التفاعل الاجتماعي.
- قد يصلح العقاب السلوك السلبي الحالي الذي قام به الطفل لكن له آثار جانبية سلبية تظهر على المدى البعيد.

وأختتم بالقول أن العقاب البدني ضرره أكثر من نفعه، وإن حصل النفع فإنه يكون آنيا قد يزول بغياب الشخص الذي يوقع العقاب، وإن تعزيز سلوك الطفل الايجابي وأي سلوك مناقض للسلوك غير المرغوب فيه يؤتي نتائج إيجابية أكبر بكثير من التي يؤتيها العقاب وتدوم آثارها لفترات زمنية أطول.

من أخبار أنفلوانزا الطيور

- الاجتماع العالمي الأول حول أنفلونزا الطيور

تميز الاجتماع العالمي الأول من نوعه حول أنفلونزا الطيور الذي انعقد بجنيف في نوفمبر الجاري بمجموعة من القرارات أهمها :

- مناداة المتدخلين في المؤتمر بضرورة التدخل السريع للتحكم في الوباء عند الطيور قبل أن يستفحل فيها ثم ينتقل احتمالا إلى البشر.
- الأولوية يجب أن تعطى لمقاومة انتقال الفيروس عند الطيور، رغم أن المجتمع الدولي يجب أن يستعد لاحتمال وقوع وباء عام يطال البشر أيضا.
- في اليوم الأخير توصل المجتمعون إلى ضرورة تخصيص مبلغ مالي قدر من طرف البنك الدولي مابين 750 مليون و مليار دولار لمقاومة المرض عند الحيوان والتحضير لعدوى مرتقبة بين البشر.

- ظهور فيروس H5N1 في حلة جديدة

تناقلت وكالات الأخبار خبر ظهور سلالة جديدة من فيروس H5N1 أكثر خطورة من السلالة التي حصدت العديد من الضحايا بين الطيور والبشر. وإذا حدثت هذه الطفرة للفيروس H5N1 ستمكنه من التكاثر بسهولة داخل أنسجة الثدييات. مما ينم عن خطورة محتملة على الإنسان، لكن ليس هناك دليل واضح لحد الآن على انتقال هذا الفيروس بين البشر.

- موقع إلكتروني عربي حول أنفلونزا الطيور

ظهر موقع إلكتروني يلقي الضوء على مرض أنفلونزا الطيور ، ضمن موقع برنامج المدن الصحية أحد برامج منظمة الصحة العالمية ، وعنوان الموقع كالآتي

www.hcp.gov.sa/h5n1

جريدة السبيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004
رئيس التحرير :
إبراهيم الطالب
هيئة التحرير :
رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال
علي نجم
الهاتف: 17-17-78 (037)
البريد الإلكتروني
Assabil1@yahoo.fr

كيف تتأثر بالقرآن الكريم

مما يؤلم الفؤاد ويعصر القلب ما نراه اليوم من إعراض كثير من الناس عن تلاوة القرآن وتدبره فضلا عن العمل به، وإني والله لأعرف بيوتا لا يوجد فيها مصحف البتة وهذا ما يدمي قلب كل صادق يعرف للقرآن قدره .

فلماذا أعرض كثير من الناس عن القرآن؟ فأصبحوا لا يقرؤونه إلا في شهر رمضان حتى إذا انقضى الشهر الكريم فتر كثير منهم، فما سبب هذا النكوص؟

والجواب: أن السبب في ذلك أنهم لم يتدبروا آياته ويتذوّقوا حلاوة تلاوته، قال عثمان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا" وهذه الحلاوة لا يستشعرها إلا من تدبره وعمل بمقتضاه. قال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

فإليك أيها القارئ الكريم باختصار شديد بعض القواعد التي تعين قارئ القرآن على التأثر بكلام المنّان.

1 ـ أن يخلص لله في قراءته بأن يقصد بها رضى الله وثوابه ويستحضر عظمة منزل القرآن في القلب، فكلما عظم الله في قلبك وخافه قلبك وأحبه كلما عظم القرآن لديك.

2 ـ التوبة والابتعاد عن المعاصي عموما.

3 ـ أن يحضر القلب ويطرد حديث النفس أثناء التلاوة ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة.

4 ـ التدبر ومحاولة استيعاب المعنى لأنها أوامر رب العالمين التي يجب أن ينشط العبد إلى تنفيذها بعد فهمها وتدبرها.

5 ـ أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجّه إليه شخصيا.

6 ـ أن يستشعر أنه يناجي الله بتلاوته وأن الله يراه ويسمعه.

7 ـ تحاشي موانع الفهم، كأن يصرف كل همه لتحقيق الحروف ولا يركّز على فهم المعنى.

8 ـ أن يحدد الغاية من تلاوته وهي الهّدى قال تعالى﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين، الله نزل أحسن الحديث كتابا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ الزمر 22-23.

باعتبارها وردت خاتمة للآيتين اللتين تحددان كيفية التلاوة ولصفات أحوال الذين يقومون بها وتسجل مظاهر التأثر والتغير والانفعال عليهم، ثم تبين الثمرة لهذه التلاوة وتحدد الغاية منها وتدعو المؤمن إلى أن يلحظها ويسعى إلى تحقيقها، و ثمة آية أخرى تقرر غاية أخرى للتلاوة وهي قوله تعالى ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ الأنعام 122، الحياة العزيزة الكريمة التي تليق بالمؤمن وتبارك عمره وترفعه وتزكيه.

9 ـ أن يحسن نظرته للقرآن وينظر له على أنه كتاب شامل ومنهج حياة متكاملة.

10 ـ تحرير الآيات القرآنية من قيود الزمان والمكان فهو صالح لكل زمان ومكان وتوجيهاته لكل الناس إلا ما ورد فيه استثناء أو تخصيص أو تقييد.

11 ـ أن لا يكون هم القارئ كثرة القراءة بل إحسانها، قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ الملك.

12 ـ أن يصاحب من يعاونه على هذا الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، فإنه له أكبر الأثر في تعميق قراءة القرآن والتأثر به قال تعالى﴿وكونوا مع الصادقين﴾.

13 ـ تسجيل الخواطر والمعاني لحظة ورودها أو بعد الانتهاء من القراءة مباشرة.

14 ـ الإطلاع على تفسير مختصر لبيان كلمة غريبة أو تحديد معنى غامض.

هذا والله الموفق لما فيه الخير.

زينب أزكرام

◄ ثمرة مناجاة الله

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قال الله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الزمر: 23]. إن مناجاة الله تعالى لمنزلة عظيمة من منازل المؤمنين، تسمو فيها النفس وتعلو على أهواء البشر، يقف الإنسان بين يدي ربه خالياً يتدبر آيات الله تعالى بسكينة ووقار، فتلامس الآيات شغاف قلبه، وترتجف جوارحه، فيطأطئ رأسه ذلا، ويعفر وجهه بالأرض عبودية وإخباتاً، ويناجي ربه بتضرع يطلب منه العون والغفران.. فتنحدر الدموع من بين عينيه إنابة وخضوعاً.

يقرأ الآية من كتاب الله فتعمر قلبه، وتزكيّ نفسه، وتغير من طبيعته وسلوكه، وتدفعه إلى المزيد من الطاعات والإقبال على الله، قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال: 2].

تحيط به الشهوات من كل مكان، وتُجلّبُ عليه الفتن بخيلها ورجلها، ولكنها تتساقط وتتناثر تحت قدميه، فينظر إليها باستعلاء وثبات، ويمضي لا يلتفت إليها، مرطّباً لسانه بحمد الله والثناء عليه، فمناجاته لربّه تكسبه القوة والعزيمة، وقلبه أبيض كالصفا، لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ذكر منهم: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدمع». أخرجه البخاري(2/660)، ومسلم (2/1031)، وقال صلى الله عليه وسلم: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» أخرجه الترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي(4/1639). سبحان الله! ما أعلاها من منزلة، وما أكرمها من صفة، حيث يتجلى عمق الإيمان وصفاؤه في القلب.

إن رقّة القلب و سكينته وإخباته لربه وتذلّله بين يديه تعظيماً وإجلالاً، منزلة سامقة من منازل المؤمنين، تتقاصر أمامها نفوس الضعفاء، وهم العجزة. بهذه القلوب الحية الصادقة العامرة بنور العلم والإيمان إنطلق الصحابة رضي الله عنهم بتيجانهم الشمّاء، يدكّون الحصون، مقبلين غير مدبرين، يفتحون الآفاق، ويرفعون راية التوحيد، حتى تهاوت على أيديهم عروش كسرى وقيصر.

فما أحوج الأمة إلى العالم الرباني الذي إذا سمع الآية تتلى بين يديه وجل قلبه، وفاضت عيناه بالدمع، ووقف عند حدودها وعض عليها بالنواجذ، ولم يتجاوزها إلى غيرها لهوى في نفسه أو ضعف في ثباته..

ما أحوج الأمة إلى الداعية الذي يجتهد في التعليم والتبليغ والتربية، حتى إذا جن عليه الليل وهدأت العيون، نشط لمناجاة ربه والوقوف بين يديه رافعاً أكف الضراعة والإخبات، يسأل الله تعالى العون والتأييد بعين باكية ونشيج عذب، ما أحوجنا إلى الدموع المخلصة التي تترجم صدق الإيمان وثباته واستعلاءه على أهواء البشر، فإلى الله تعالى نشكو عجزنا وضعفنا وقسوة قلوبنا. اقال رسول الله «لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيراً، ولضحكتم قليلا» أخرجه البخاري(11/6485).

والحمد لله رب العالمين

أبو محمد عادل خزرون

هل حرب أمريكا ضد المسلمين حرب مصالح أم حملة صليبية؟ وما حجم البعد الديني فيها؟

كشفت أحداث الحملة الأمريكية على العراق وأفغانستان عن دروس كثيرة، وذكّرت بعبر عظيمة ونبهت على رؤى مهمة يحسن بنا الوقوف عندها وتدارسها، لنتخذ المواقف الشرعية المناسبة لخدمة الدعوة وحفظ الأمة ونصرة الدين.

هذه الحرب يسوغ أن تطلق عليها أنها "حرب صليبية"، إذ أن هذا التعريف أقر به السياسيون الغربيون فضلاً عن "رجال الدين" النصارى، فتحتا لافتة والحرب الصليبية، تدخل أبعاد كثيرة، كالبعد الديني، والبعد الحضاري، والبعد العنصري، والبعد الاقتصادي (المصالح) وغير ذلك، صحيح أنها ليست حرباً دينية بمفهوم الحروب الدينية التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى، لكنها "حرب صليبية" بمفهوم حروبهم للمسلمين التي أطلقوا عليها "الحروب الصليبية" في نهاية القرن الخامس الهجري، والتي دخلت فيها الأبعاد المذكورة جميعاً، فالصليب لدى الغربيين اليوم يمثل انتماء وهوية حضارية أكثر من أن يمثل التزاماً دينياً. أما البعد الديني في هذا الصراع فله خمسة مظاهر:

المظهر الأول: أحد مكونات بيئة القرار الأمريكي الخارجي هو البعد الديني لدى الإنجيليين الصهاينة المؤثرين في ذلك القرار، والذين يعتبرون الحرب على العراق حلقة في الصراع بين أبناء النور (الأمريكيين والإسرائيليين)، وبين أبناء الظلمات (العرب والمسلمين).

والمظهر الثاني: الخلفية الدينية للرئيس بوش، فهو تلميذ مخلص للقسيس المتشدد "بيلي جراهام"، وعضو في طائفة "الميثوديست" التي تمثل التحالف الصهيوني المسيحي، والذين يؤمنون بفكرة هدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل، وأن المسيح لن يظهر ما دام المسجد الأقصى قائماً، وأن إسرائيل مشروع إلهي لا بد أن يسيطر، ويرى أنه يخوض حرباً تحت شعار "عودة المسيح"، وأن الإسلام "دجل ديني".

ويذكر "دافيد فروم" الكاتب السابق لخطابات وتصريحات الرئيس "بوش" في مذكرات له نشرها مؤخرا، إن أول سؤال كان يواجهه في الصباح هو: ((لماذا تغيبت عن الدرس الديني؟))، ذلك أنه صباح كل يوم وقبل بدء العمل في البيت الأبيض، يتجمع كبار الموظفين والمستشارين مع الرئيس بوش للاستماع إلى موعظة دينية يقدمها أحد القساوسة، تعقبها صلاة ودعاء.. ثم يتوجه الجميع إلى مكاتبهم.

والمظهر الثالث: احتلت العراق مساحة كبيرة في العقل الديني للمسيحيين الإنجيليين، فكُتُب طائفة "الميثوديست" حافلة بالحديث عن العراق، وأن المسيح إذا خرج لا بد أن يحيط به الذهب النقي الخالص الذي يكون في دولة مسلمة قريبة من أورشليم، وأن هذه الخصائص تنطبق على العراق، ويعتقدون أن جبل الذهب ما زال موجوداً داخل العراق، وإن لم يُكتشف بعد، كما أن بابل وملكها الذي سيدمر إسرائيل مرة أخرى هي إحدى نبوءات كتبهم.

والمظهر الرابع: مطالبة الرئيس الأمريكي " للكونجرس" بأن يصدر بياناً يطالب فيه الأمريكيين بتقديم الصلوات لصالح الجيش الأمريكي في العراق، وفتاوى حاخامات اليهود في "إسرائيل" للجنود اليهود الأمريكيين والبريطانيين بإقامة صلواتهم في خيامهم غرب نهر الفرات، بناءً على أنهم في أرض "إسرائيل" الكبرى.

والمظهر الخامس: أن أحد أبرز المستهدفين بهذه الحروب هم أهل الخير والصلاح، وبيئات المسلمين الدينية والدعوية. قال الله ـ تعالى ـ ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

صحيح أن الدول المشاركة في الحرب هي الدول البروتستانتية (أمريكا، بريطانيا، أستراليا) فقط، لكن الدول الكاثوليكية متعاطفة معهم، ومن خالفهم قبل الحرب بدأ يتعاطف معهم بعد الحرب، ثم لا ننسى الدور اليهودي البارز للوبي الصهيوني في هذه الحرب، فـ"إسرائيل" في قلب الحدث تخطيطاً وإعداداً ومشاركة، ولذا يمكن أن نصف هذه الحرب بوصف أدق أنها "صليبية صهيونية".

نبيل الزناسني

العدد 05 - 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 دجنبر 2005

التنمية المستديمة "مفهوم جديد وشامل"

دينا آيت لحسن
أستاذة مبرزة في الاقتصاد

- مفهوم التنمية المستديمة

لا أحد يخفى عليه اليوم أن العولمة أضحت تهديدا حقيقيا للدول النامية وللفقراء وللبيئة ولاستقرار الاقتصاد العالمي.

تهديد أصبح يؤرق جميع العلماء في جميع الميادين لا سيما مع اتساع الفجوة الرقمية والفوارق الاجتماعية والكوارث الطبيعية.

في حقيقة الأمر إن هذا التهديد هو السر وراء ظهور عبارة "التنمية المستديمة" التي أصبحت على لسان رجل الشارع ووسائل الإعلام والحكومات والمقاولات ..الخ.

لكن ماذا تعني هذه العبارة؟

هل هي "مودا" أم تغيير جوهري؟

أين تكمن أهميتها؟

وما هي العوائق التي تحول دون تحقيقها؟

حسب تقرير برولدلاند brundtland المعلن سنة 1987 تم تعريف التنمية المستديمة بالتنمية التي تجيب إلى متطلبات الأجيال الحالية دون المس بمتطلبات الأجيال القادمة، مرتكزة بذلك على تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية:

- التنمية الاقتصادية.
- العدالة الاجتماعية.
- المحافظة على البيئة.

مجموعة من الدول اليوم أصبحت تعطي اهتماما كبيرا لتحقيق التنمية المستديمة متجاوزة بذلك هاجس التنمية الاقتصادية الذي كان الهدف الوحيد الذي تسارع من أجله الحكومات لتحقيق أعلى النسب.

صحيح أنه في بداية الأمر كان تحقيق التنمية المستديمة مجرد "مودا" تتسابق من أجلها كبريات الدول، لكن مع تفشي ظاهرة الفقر والبطالة واتساع ثقب الأوزون وارتفاع حرارة الأرض الخ، أضحى الأمر في غاية الأهمية مما يستدعي تغييرا جوهريا في طريقة التعامل مع هذه المعطيات الجديدة.

دخول اتفاقية "كيطو" حول المحافظة على البيئة حيز التنفيذ في السادس فبراير السنة الجارية، ليس إلا دليل على وعي الدول الموقعة عليه، ومن بينها المغرب، على ضرورة تغيير منهجياتها وعلى أنه لا يمكن أن تكون هناك تنمية طالما أن تلوث البيئة في ارتفاع والأوضاع الاجتماعية لنسبة مهمة من السكان في تردد متواصل.

على صعيد المغرب، يمكننا القول بأن بلادنا تبنت فعلا ضرورة هذا التغيير وجعلت من التنمية المستديمة هدفها الأول لتحقيق العيش اللائق لمواطنيها، ويتجلى ذلك خاصة من خلال وضع قانون حول حماية ومحافظة البيئة ومن خلال الانطلاق الفعلي في شتنبر الماضي للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية.



- تضارب أهداف التنمية المستديمة

في حقيقة الأمر وعلى أرض الواقع تحقيق التنمية المستديمة يعتبر أمرا صعب المنال وذلك لعدم التوافق بعض الأجيال بين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والإيكولوجية، فكيف ذلك؟

مثلا: أمام هاجس الشركات الكبرى والمتعددة الجنسية في الرفع من إنتاجها ومردوديتها ينتج عنه بالموازاة مع ذلك انبعاث مكثف لغازات سامة من مصانعها مع ارتفاع نسبة خطر إصابة عامليها بأمراض مهنية وتنفسية خطيرة، الشيء الذي يؤدي إلى صعوبة في التوفيق بين الأهداف المتوخاة.

كذلك من بين الأسباب التي تقف عائقا أمام تحقيق هذه التنمية هناك كلفة التمويل باعتبار أن تحقيق تنمية اقتصادية مهمة دون تأثير سلبي على البيئة يستلزم استعمال آلات ذات تقنية حديثة وغير ملوثة للجو، وبالتالي فهاته الأخيرة تكون ذات كلفة عالية ليست في متناول جميع أرباب المصانع.

إذن أمام ضرورة تجاوز هذه العوائق لأجل الرفع من المستوى المعيشي للسكان وتحقيق الأهداف المرجوة، يصبح من الواجب على الدولة اتخاذ مجموعة من الإجراءات، أهمها:

أولا: تبني سياسات فعلية للقضاء على الفقر والفوارق الاجتماعية الكفيلة بضمان مجموعة من الحقوق الأولية مثل حق العيش الكريم، حق التعليم، حق الصحة، حق الشغل... باعتبار أنه لا يمكن أن يكون هناك نمو اقتصادي دون ضمان هذه الحقوق في إطار سياسة اجتماعية مبنية على الحرية والتضامن والمسؤولية.

ثانيا: تطوير استعمال الطاقات البديلة غير الملوثة للجو (كالطاقة الشمسية) واختراع موازاة مع ذلك طرق جديدة في الإنتاج تعتمد على استعمال عقلاني للمواد الطبيعية.

وأخيرا: إدماج جميع مكونات المجتمع من مواطنين ومجتمع مدني ومقاولات ودولة في تحقيق هذا المشروع التنموي المبني على الاقتصاد التضامني والتنمية المحلية والمحافظة على البيئة.

في المغرب مجموعة من المؤشرات تنبئ عن التقدم النسبي لبلادنا في هذا المجال وعن تبنيه الفعلي لبعض هذه الإجراءات. وذلك من خلال تخصيص 55% من ميزانية الدولة للعمل الاجتماعي (توسع شبكة المد بالماء والكهرباء، محاربة السكن الغير اللائق، محاربة الأمية تمديد الطرق..... الخ)

لكن رغم هاته الانجازات وغيرها يبقى أن نسبة الأمية في بلادنا مرتفعة مقارنة مع دول عربية أخرى وأن 25% من سكان البوادي المغربية يعيشون بأقل من 9 دراهم في اليوم وأن كلفة تدهور البيئة في بلادنا تمثل 3,7 من الناتج الوطني الخام(Pib).

إذن من هنا يمكننا القول أن المغرب أمامه الكثير لتحقيق التنمية المستديمة وأن مفهوم هذه العبارة هو مفهوم شامل يجمع بين الهدف الاقتصادي والاجتماعي والايكولوجي وتحقيق يستدعي إرادة وحزم قويين.

أنفلوانزا الطيور والاقتصاد العالمي

خلفت أنفلوانزا الطيور أضرارا على المستوى الاقتصادي، هذه الأضرار لا تزال محدودة ما دام المرض لم يمر بعد إلى مرحلة العدوى بين البشر. أما في حالة الوصول إلى هذه المرحلة فإن الخسائر الاقتصادية ستكون كبيرة وستطال مختلف بلدان العالم وتؤثر على النمو الاقتصادي العالمي حسب ما أدلى بذلك خبراء منظمة الصحة العالمية.

ويمكن قياس الأزمة التي يرتقب أن يحدثها هذا المرض، على ما حدث في سنة 2003 عندما خلف مرض "السارس" مشكلا اقتصاديا دام نصف سنة وكلف قطاعات اقتصادية حية قرابة السنة قبل استعادة نشاطاتهما العادية. وعلى العموم فإن مرض "السارس" كلف القارة الأسيوية ما يقارب 60 مليار دولار حسب تقديرات مجموعة أكسفورد الاقتصادية، ويحاول الخبراء اليوم وضع تخمينات حول ما يمكن أن تخلفه "أنفلوانزا" الطيور على المستوى الاقتصادي، وتعتمد هذه التخمينات على تقدير الخسائر التي يرتقب أن تنتج عن الوفيات والاستطباب والتغيبات عن العمل، وتخوفات المستهلكين التي تحد من مساهمتهم في النمو الاقتصادي، وتبقى هذه التخمينات والدراسات نسبية واحتمالية لأن الله وحده هو الذي يعلم درجات تطوراته المستقبلية، وما يمكن أن يتسبب فيه هذا المرض . لكن مثل هذه الأبحاث تكون نافعة لاتخاذ التدابير اللازمة والاستعدادات بما فيه الكفاية لمثل هذه الأزمات وهنا يدخل في الأخذ بالأسباب لا في عدم الرضى بالقدر أو محاولة رده كما نص على ذلك علماؤنا الأفاضل.

وقال كوفي عنان إثر زيارة له لمقر منظمة الصحة العالمية في أكتوبر الماضي: "لا يتعلق الأمر فقط بمشكل للصحة العمومية وإنما يمكن أن يطال بنية مجتمعاتنا ويزعزع توازن الميادين الزراعية والتجارية". ويقدر خبراء بعض المؤسسات المالية الدولية العجز الاقتصادي الذي يمكن أن يحصل في حالة انتقال العدوى بين البشر بـ 800 مليار دولار، وتكون معاناة الدول الفقيرة من مثل هذه الأزمات أكثر من الدول الغنية. لأن مواجهة هذه الأمراض تتطلب برامج الاستعداد والبحث قبل برامج المواجهة وكل هذا يفرض تخصيص ميزانيات ومبالغ باهضة يستعصي توفيرها على الدول الفقيرة. ويرتقب أخصائيون كنديون أن يخلف وباء "أنفلوانزا" الطيور في حالة استفحاله، أضرارا كبيرة قد تصل إلى حالة الأزمة التي تسببت فيها "الأنفلونزا" في الثلاثينات.

وحسب مجلة l'économiste فإن الحكومة المغربية خصصت ميزانية 900 مليون درهم لوضع استراتيجية لمكافحة هذا الوباء. ويرى بعض المختصين أنها ميزانية قليلة لكن وزير الصحة المغربي صرح بأنه لا يريد المغامرة بمبالغ مالية قبل الأوان كما حدث بالنسبة لمرض "السارس" الذي خصصت له ميزانية اعتبرت في عداد الخسائر.

ورغم أن الوباء مركز في دول آسيوية إلا أنه من الراجح تأثيره على اقتصادات العديد من الدول في القارات الأخرى. لأن الاقتصاد الأسيوي ينعكس على الاقتصاد العالمي ما دامت الدول الأسيوية تعتبر من أكثر دول العالم نشاطا على مستوى الاقتصاد العالمي وذلك لكثرة صادراتها ووارداتها.

وخلص الخبراء اقتصاديون آسيويون إلى أن الأزمة على المدى القصير قد تكلف 99 مليار دولار لآسيا. أما على المدى البعيد أي ما يقارب السنة فإن هذا المبلغ يرتفع إلى 280 مليون دولار.

فنسأل الله السلامة والعافية من هذه الأمراض والأوبئة التي من أهم أسبابها معصية الله ومخالفة أوامره كما قال الله المهيمن الرزاق سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾الروم41-42، ولقوله تعالى أيضا: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى30. وإن كان الكثير من العلمانيين يرون في هذا الربط رجعية وتخلفا، وذلك للمادية التي سيطرت على العلوم والتي تقاطعت مع الدين منذ أن غابت شمس الإسلام عن سماء العلوم وأصبحت الريادة العلمية بعده ذات هوية غربية علمانية مادية.

مصطلحات اقتصادية

ميزان المدفوعات: عبارة عن بيان إحصائي عن فترة زمنية معينة (سنة) يسجل فيه المعاملات الاقتصادية التي تتم بين المقيمين (شخص عادي/ أو اعتباري كالشركات أو الهيئات أو الأجهزة الحكومية) في دولة معينة وغيرها من دول العالم.

السوق الأولي: السوق الذي يتم من خلاله بيع الأوراق المالية المصدرة لأول مرة والتي تسهم في زيادة التكوين الرأسمالي.

السوق الثانوي: السوق الذي يجري فيه التعامل بالأوراق المالية بعد إصدارها واستكمال إجراءات الاكتتاب بها، في إطار القوانين والأنظمة والتعليمات المعمول بها.

السوق الموازي: ذلك الجزء من السوق الثانوي الذي يتم من خلاله التعامل في القاعة باسم شركات تحكمها شروط إدراج خاصة تحددها لجنة إدارة السوق.

العدد 05 . 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005

حكم ومواعظ

- طريق السفر إلى الله

لن يدرك بالهوينا وإنما هو كما قيل:

فخض غمرات الموت واسم إلى العلا
لكي تـــدرك العـــز الرفيع الـــدائم
فلا خير في نفس تخاف من الـــردى
ولاهمـــة تصبـــو إلى لـــوم لائـــم

- اليقيـــن

هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون وعمل القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلّها إليه. وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين.

- أقوال السلف في الزهد

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

– قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.

– وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم، فقال له: إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك فأما ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح.

- أقوال السلف في فضل العلم

- قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: " تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها ".

- قال الزهري رحمه الله تعالى: " ماعُبد الله بمثل العلم ".

- قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: " مامن عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النيّة ".

- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: " طلب العلم أفضل من صلاة نافلة ".

- وفي المستطرف

فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته، والتثبّت في حركاته وسكناته، وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد، وفات المستعجل غرضه أو كاد.

– قال بعض السلف: لو اطّلع ابن آدم على ما صُرِف عنه وما قُدِّر له، ما اختار غير ما اختاره الله له.

- إلى كل مُستعجل ..

– رُبّ امرئ حتفُه فيما تمناه

- وفي مأثور القول :

إذا كنت مُستعجلاً فسِرْ على مَهَل
فربما صادَف المستعجِـــل الزلل !

- وصية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لابنه :

لما حضر عبدالله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال: يا عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني :

أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل، ودع مطلب الحاجات إلى الناس فإن ذلك فقر حاضر، ودع ما تعتذر منه من الأمور ولا تعمل به، وإن إستطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل، وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها.

- من أعجب الأشياء

قال ابن القيم – رحمه الله:

أن تعرف الله، ثم لا تحبه!

وأن تسمع داعيه ، ثم تتأخر عن الإجابة!

وأن تعرف قدر الربح في معاملته، ثم تعامل غيره!

وأن تعرف قدر غضبه ، ثم تتعرض له!

وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته، ثم لا تطلب الأنس بطاعته!

وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه، ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته!

وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه، والإنابة إليه!

وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب!

- مناجـاة

أيا من ليس لي منه مُجير
بعفوك من عذابك أستجيرُ
أنا العبد المُقرّ بكلّ ذنـــب
وأنت السيّد المولى الغفورُ
فإن عذّبتني فبسوء فعـــلي
وإن تغفر فأنت بـه جـديرُ
أفرّ إليك منك وأيـــن إلا
إليك يفرّ منك المستـــجيرُ

- الإيمـان

قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمنّي ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل، إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا لا حسنة لهم، وقالوا نحسن الظنّ بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظنّ به لأحسنوا العمل.

تسلية وترويح

- صيد للآخرة

دخل سارق بيت أحد العلماء الظرفاء، فأخذ يفتش في كل زاوية من البيت فلم يجد شيئاً، فلما همّ بالخروج صفر اليدين، ناداه العالم حيث كان يراقبه: (إنك جئت في طلب الدنيا، فليس لدينا من الدنيا شيء، فهل تريد شيئاً من الآخرة)؟

قال السارق: (نعم).

فاحتضنه العالم وعلمه التوبة إلى الله حتى أسفر الصباح فصليا وذهبا معاً إلى المسجد للدرس.

فسأله تلامذته عن الرجل: من هذا؟

أجابهم: (إنه جاءني البارحة ليصطادني، ولكني اصطدته، فجئت به إلى المسجد).

وهكذا أصبح السارق من جملة التائبين المؤمنين.

- لئلا تسرق ثيابك

جاء رجل إلى فقيه فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل، فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك تجاه ثيابك لئلا تسرق.

- رأيتهم يضربونه فضربته

قال الأصمعي: مررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت لرجل من القوم يضرب بهمّة: ما حال هذا؟ قال: والله ما أدري ما حاله ولكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لوجه الله وطلباً لمثوبته.

- أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك

قيل: كان يجلس إلى أبي يوسف (القاضي) رجل فيطيل الصمت ولا يتكلم فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلم ؟ فقال: بلى، متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غربت الشمس.

قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل ماذا يفعل؟ وكيف يصنع؟ فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك.

- دعه في النار وأنا في الدار

مات أحد المجوس وكان عليه دين كبير فقال بعض غرمائه لولده: لو بعت الدار وأوفيت بها دين والدك؟ فقال الولد: إذا أنا بعت الدار وقضيت بها عن أبي دينه فهل يدخل الجنة؟ فقالوا له: لا ، قال فدعه في النار وأنا في الدار.

- فـــوائـــد

أوائـــل:

– أول المسلمات : خديجة بنت خويلد أم المؤمنين زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يسلم قبلها رجل ولا امرأة.

– أول من استشهد في الإسلام: سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر لم يستشهد قبلها رجل ولا امرأة.

– أول الممرضات في الإسلام: رفيدة بنت سعد الأسلمية من الأنصار من الخزرج، وقد أقامت خيمة إلى جانب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، تمرض فيها من يمرض أو يصاب من المسلمين ، وفي غزوة الخندق أقامت أول مستشفى ميداني عندما نصبت خيمتها هناك لتداوي جرحى المسلمين.

– أول من ولدت للمسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة: أسماء بنت أبي بكر، فقد ولدت عبد الله بن الزبير ابن العوام بعد أن أشاع اليهود بأنهم سحروا المسلمين فلا يُولد لهم ولد، فكان ميلاده سبب فرحة المسلمين.

...... معلومـات عامة ......

- **سمي البحر الميت بهذا الاسم لانعدام الحياة فيه لشدة ملوحته، وله اسم آخر وهو بحر لوط وسمي أيضا بذلك لأن سيدنا لوط عليه السلام وقومه كانوا يسكنون هذه المنطقة.**
- **أيام الأسبوع لم تكن سبعة أيام كما هو معروف الآن فقد كان الأسبوع يساوي عشرة أيام عند قدماء المصريين والفرنسيين، وكان ثمانية أيام لدى الرومان، وأخيرا كان أربعة أيام لدى بعض الأمم.**
- **مسامير الحديد لا تصلح في تثبيت خشب البلوط وذلك بسبب المادة الكيماوية الموجودة في الخشب والتي تتسبب في صدأ المسامير.**
- **الغواصين الذين يتنفسون الأوكسجين الصرف قبل الغوص بنصف ساعة قادرون على مسك أنفاسهم تحت الماء لمدة 13 دقيقة.**
- **في مدغشقر يستخدمون خيوط العنكبوت في حياكة الأقمشة.**
- **كتب أحد الأطباء في نهاية القرن الماضي من أضرار مضغ العلكة فقال: أنها تنهك الغدد اللعابية، وتسبب التصاق الأمعاء.**

الصدق

الصدق هو الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين.

- حقيقة الصدق

" الصدق بمعناه الضيق مطابقة منطوق اللسان للحقيقة، وبمعناه الأعم مطابقة الظاهر للباطن فالصادق مع الله ومع الناس ظاهره كباطنه، ولذلك ذكر المنافق في الصورة المقابة للصادق، قال تعالى:(ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين...)". "هذه أخلاقنا" للخزندار 435.

- المسلم والصدق

المسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به فحسب، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، يذهب إلى أن الصدق من متمات إيمانه، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله تعالى به، وأثنى على المتصفين به، كما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وحث عليه ودعا إليه، قال تعالى في الأمر به:(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، وقال في الثناء على أهله: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقال:(والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)، وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" رواه مسلم.

قال المناوي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "(عليكم بالصدق) أي: القول الحق، وقد يستعمل في أفعال الجوارح كصدق فلان في القتال إذا وفاه حقه، (فإن الصدق يهدي إلى البر) أي: إلى العمل الصالح الخالص، والبر هو اسم جامع للخير (وإن البر يهدي إلى الجنة) أي: يوصل إليها، قال ابن العربي المعافري المالكي: بين أن الصدق هو الأصل الذي يهدي إلى البر كله، وذلك لأن الرجل إذا تحرى الصدق لم يعص أبداً؛ لأنه إن أراد أن يشرب (أي الخمر) أو يزني أو يؤذي خاف أن يقال له زنيت أو شربت فإن سكت جر الريبة، وإن قال: لا، كذب، وإن قال: نعم، فسق، وسقطت منزلته وذهبت حرمته (وما يزال الرجل يصدق) في كلامه (ويتحرى الصدق) أي: يجتهد فيه (حتى يكتب عند الله صديقاً) أي: يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقية (وإياكم والكذب) أي: احذروه (فإن الكذب يهدي إلى الفجور) أي: يوصل إلى الميل عن الاستقامة والإنبعاث في المعاصي (وإن الفجور يهدي إلى النار) أي: يوصل إليها (وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) أي: يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الكذابين وعاقبتهم" فيض القدير للمناوي 4- 343.

- مراتب الصدق

قال ابن قدامة رحمه الله:"واعلم أن لفظ الصدق قد يستعمل في معان:

أحدهما: الصدق في القول: فحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه، ولا يتكلم إلا بالصدق، والصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها، وينبغي أن يحترز عن المعاريض، فإنها تجانس الكذب إلا أن تمس الحاجة إليها، وتقتضيها المصلحة في بعض الأحوال، وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد غزوة ورّى بغيرها لئلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيتهيؤوا لقتاله، وينبغى أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجى بها ربه، كقوله: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فإن كان قلبه منصرفا عن الله مشغولاً بالدنيا فهو كاذب.



الثاني: الصدق في النية والإرادة، وذلك يرجع إلى الإخلاص، فإن مازج عمله شوب من حظوظ النفس، بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يكون كاذباً كما في حديث الثلاثة: العالم، والقارئ، والمجاهد. لما قال القارئ: قرأت القرآن إلى آخره، إنما كذبه في إرادته ونيته، لا في نفس القراءة، وكذلك صاحباه.

الثالث: الصدق في العزم والوفاء به.

أما الأول: فنحو أن يقول: إن آتاني الله مالاً تصدقت بجميعه، فهذه العزيمة قد تكن صادقة، وقد يكون فيها تردد.

وأما الثاني: فنحو أن يصدق في العزم وتسخو النفس بالوعد، لأنه لا مشقة فيه إلا إذا تحققت الحقائق، وانحلت العزيمة، وغلبت الشهوة، ولذلك قال الله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)-[الأحزاب: 23] وقال تعالى في آية أخرى: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) إلى قوله (وبما كانوا يكذبون) - [التوبة: 75-77].

الرابع: الصدق في الأعمال، وهو أن تستوي سريرته وعلانيته، حتى لا تدل أعماله الظاهرة من الخشوع ونحوه على أمر في باطنه، ويكون الباطن بخلاف ذلك، قال مطرف: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل: "هذا عبدى حقاً".

الخامس: الصدق في مقامات الدين، وهو أعلى الدرجات، كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضى والحب والتوكل، فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق عليها الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، فالصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً، قال الله تعالى: (ولكن البر من آمن بالله واليوم-الآخر) إلى قوله:(أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)- [البقرة: 177] وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) - [الحجرات: 15] اهـ "مختصر منهاج القاصدين" 276-277.

من ثمرات الصدق

للصدق ثمرات طيّبة يجنيها الصادقون منها:

- بلوغ المقامات العليّة عند الله سبحانه: "حتى يكتب عند الله صديقا...".

- راحة الضمير، وطمأنينة النفس لقوله صلى الله عليه وسلم: "الصدق طمأنينة"رواه الترمذي وصححه. بلفظ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة".

- البركة في الكسب، وزيادة الخير لقوله صلى الله عليه وسلم:"البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقت بركة بيعهما" اهـ رواه البخاري رحمه الله.

- الفوز بمنزلة الشهداء لقوله عليه الصلاة والسلام:" من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" رواه مسلم.

وأخيرا: لكي تكون حياتك كلها صدقا، ولتحشر مع الصديقين، فاجعل مدخلك صدقا، ومخرجك صدقا، وليكن لسانك لسان صدق، لعل الله يرزقك قدم صدق، ومقعد صدق.

ومن أحسن ما قيل في الصدق:

عليك بالصـــــدق ولو أنــه
أحرقك الصـــــدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال الربيع بن سليمان - رحمه الله -:

صبر جميل ما أسرع الفرجا
من صدق الله في الأمور نجا
من خشي الله لم ينلــــه أذى
من رجا الله كان حيث رجا

العدد 05، 29 شوال 1426 الموافق لـ 02 ديسمبر 2005